دكتور محمود أحمد نجيب
أستاذ الجراحة - كلية طب جامعة عين شمس



الطب الإسلامي

شفاء بالهدى القرآني

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

دكتور محمود أحمد نجيب
أستاذ الجراحة - كلية طب جامعة عين شمس

الطب الإسلامي

شفاء بالهدى القرآني

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

المحرم سنة ١٤٠٣هـ

أكتوبر سنة ١٩٨٢م

دار التوفيق النموذجية

للطباعة والجمع الآلي

الأزهر: ٣ حارة الموصلي

بجوار جامع الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين •• والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين •• سيدنا محمد رسول الله •

أقدم هذا البحث لأمة المسلمين •• داعيا الله سبحانه وتعالى أن يحقق ما رجوته منه •• ذلك أنى اؤمن أن الله قد أنزل فى كتابه الكريم — القرآن العظيم — آيات بينات يحق لنا أن نتدبرها ، ونحاول تفسيرها وفقا لأحدث ما وصلت اليه العلوم الطبية •• والاجتهاد فى هذا المجال كفيل بأن يضع لنا أساسا لفهم حكمة العبادات والمحرمات ، نزداد به ايمانا أن الله قد أراد لنا الخير فى كل ما أمرنا به • وأن القرآن شفاء ورحمة • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

ذو القعدة ١٤٠٢هـ

أغسطس ١٩٨٢ م

دكتور محمود أحمد نجيب

الفصل الأول

العبادات .. والعلوم الطبية

١ ــ الاستنجاء وآداب قضاء الحاجة

الاستنجاء هو ازالة الخارج من أحد السبيلين ــ القبل ، أو الدبر ــ عن المحل الذى خرج منه ، اما بالماء واما بالأحجار .

والأصل فى الاستنجاء أن يكون بالماء ، وأول من استنجى بالماء هو سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

والاستنجاء فرض . فيجب الاستنجاء من كل خارج نجس ، ولابد من انقطاع الخارج قبل الاستنجاء والا بطل الاستنجاء . ولا شك أن الاستبراء وهو اخراج ما بقى فى المخرج من بول أو غائط هو طبيا أمر ذو فائدة صحية محققة ، ذلك لأن افراغ المثانة ومجرى البول من التبول تماما يمنع حدوث الالتهاب أو ترسيب الأملاح ولا سيما الفوسفاتية مما قد يكون نواة لتكوين حصوة ، وكذلك اخراج ما بقى فى الشرج من الغائط واستعمال الماء الطهور فى الاستنجاء يحفظ الشرج من الالتهاب والاحتقان مما قد يؤدى الى تجمعات صديدية وحدوث ناصور شرجى .

وكذلك ثبت أن التهاب الجهاز البولى يأتى فى معظم الحالات عن طريق تلوث مجرى البول بالميكروبات الموجودة فى الغائط ولاسيما فى النساء لقصر قناة مجرى البول .

وعلى هذا فان استخدام الماء الطهور لازالة الغائط والبول وتطهير مخرج القناة البولية وكذلك فتحة الشرج هو وقاية من حدوث التهاب المسالك البولية .

وقد حدث فى عام ١٩٦٣ بمدينة « دندى » بانجلترا ، أن ظهرت حالات تيفود بصورة متلاحقة فى فترة وجيزة ، مما أثار القلق من أن يتصاعد الموقف الى حدوث حالة وبائية فى المدينة ، وصدرت تعليمات صحية بوجوب الاستنجاء بالمــاء بعد التبرز والامتناع عن استعمال أوراق المراحيض ؛ حيث انه ثبت أن هذه هى أنجع وسيلة لمنع انتشار العدوى بالمدينة ، وفعلا اتبع سكان مدينة « دندى » هذه التعليمــات التى جاء فيها حرفيا : « النظافة الشخصية تكون بالمــاء كما يفعــل المسلمون . وليس بالأوراق التى بدورات المياه » .

ولم تمض سوى أيام قليلة الا واختفت حالات التيفود من المدينة.

وبالقياس يمكن أن نقول ان الاستنجاء بالمــاء يعطى وقاية من حدوث أوبئة الكوليرا أو التهاب الكبد الفيروسى .

أما عن آداب قضاء الحاجة .. فانه لا يجوز للمسلم أن يقضى حاجته فى المــاء الراكد ، كذلك يحرم قضاء الحاجة فى موارد المــاء ومحل مرور الناس واستظلالهم .

ولو اتبع المســلمون هذه الآداب لاختفت من بلادهم عــدوى البلهارسيا التى تفتك بالأجسام سواء بسبب حدوث تليف كبــدى ، وتضخم بالطحال ، وارتفاع الضغط فى الوريد البابى ، أو باصــابة المثانة والحالب .. مما قد يؤدى الى الفشل الكلوى أو سرطان المثانة ، وكذلك انتشار أوبئة الكوليرا أو التيفود .

* * *

٢ ــ الاغتســـال

الغسل هو استعمال المـــاء الطهور فى جميع البدن •

وموجبات الغسل هو ايلاج رأس عضو تناسل فى فرج ، ونزول المنى من الرجل أو المرأة ، ودم الحيض أو النفاس •

والمسلم قد يكون فى أحد ثلاث حالات :

أولا ــ المتوضىء وهو الذى يســتطيع أن يصــلى وأن يمس المصحف •

ثانيا ــ غير المتوضىء •

ثالثا ــ الجنب •

والمسلم فى كل لحظة من حياته يتحرى ما هو عليه من حال ، فان الصلاة مفروضة عليه بدخول وقتهـا ، فان كان جنبا فهـو يبادر بالاغتسال حتى يستطيع أن يصلى ، والشغل الشاغل عند المســـلم طول حياته هو طهارة الجسم ، وطهارة الملابس ، وطهارة المكان حتى تصح الصلاة •

وبهذا ترتفع آدمية المسلم فوق كل سائر البشر من غير المسلمين فهم أنجاس لأنهم لا يغتسلون من الجنابة كالحيوانات ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجــرى من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعـــام والنار مثوى لهم » • (محمد : ١٢)

وقد وصف الله المسلمين بأنهم يحبون أن يتطهروا ، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى :

« لا تقم فيه أبدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق

أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين » •
(التوبة : ١٠٨)

وكذلك نذكر قول الله تعالى :

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » • (البقرة : ٢٢٢)

والاغتسال بعد خروج المنى ، هو طهارة الجسم وطهارة الفرج ، فيمنع تلوث قناة مجرى البول في الرجل من افرازات المهبل وبما تحويه من بكتريا وفطريات ، والتى قد يؤدى تواجدها الى التهاب مجرى البول وما قد يتبع ذلك من امتداد الالتهاب الى الجهاز البولى بأكمله •

وفى المرأة يحدث نتيجة للجماع احتقان بمجرى البول وبالمهبل . ويلزم الاغتسال لازالة المنى والافرازات منعا لحدوث التهاب بقناة مجرى البول والتهاب عنق الرحم ، مما قد ينتج عنه حدوث قرحة فيصبح بهذا الالتهاب مزمنا ، وأسوأ المضاعفات هو حدوث سرطان عنق الرحم •

والاغتسال بعد الحيض والنفاس ، يزيل الدم والافرازات ، وبهذا يتم الجماع فى طهر ولا يحدث منه أذى للرجل أو المرأة •

* * *

٣ ــ الوضــــوء

لـــا كانت فرائض الوضوء هى غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين ، فان المسلم يجد أن الوضوء يكفل له أن أجزاء جسمه الظاهرة والمعرضة للجو دائمــا يكون سطح الجلد بها نظيفا وخاليا من الغبار والأتربة ، وهذا يمنع اصابة الجلد بالالتهابات بسبب تراكم الغبار الممتزج بالعرق وافرازات الغدد الجلدية ؛ مما قد ينتج عنه التقيحـــات والتجمعات الصـــديدية وأشدها خطرا هو ما يعرف بالجمرة لأنه قد يحدث تسمما ميكروبيـــا قاتلا •

كذلك الوضوء يكفل الوقاية من نمو الفطريات بين أصابع القدمين ولا شك أن اتباع سنة الوضوء فى تخليل أصابع اليدين والقدمين يوفر النظافة التامة فى هذه الأماكن التى تنمو فيها الفطريـــات •

ولعل أهم الآثار الصحية المتعلقة بالوضوء ، هو أنه قد يقلل من احتمال حدوث سرطان الجلد •

ذلك أن الثابت من الدراسات والأبحاث المتعلقة بأسباب سرطان الجلد أنه يحدث فى كثير من الحـــالات نتيجة تعرض الجلـــد للمواد الكيماوية الناتجة عن صناعة البترول وتكريره والبتروكيمائيات ، وعلى هذا فان العاملين فى هذه الصناعات معرضون للاصابة بسرطان الجلد ، ولا شك أن من أنجع السبل للوقاية هو ازالة تراكم الكيمائيات من سطح الجلد والوضوء يكفل ازالتها أولا بأول ، مما يقلل من تأثير هذه المواد على خلايا الجلد الذى يؤدى على المدى الطويل الى حدوث تغيرات سرطانية •

كذلك فان العاملين فى المناجم وفى صناعة المعادن ، معرضـــون للاصابة بأورام سرطانية فى الرئة والأنسجة الليمفاوية والكلى والمثانة ،

وفى كل هذه الحالات تنشــأ الأورام السرطانية نتيجة دخول مــواد كيماوية الى الجسم عن طريق الجلد •

وعلى هذا فان الوضوء يمنع حدوث هذه الأورام فى المــواد الكيماوية ، لأنه يكفل ازالتها قبل أن تتراكم وتتجمع على سطح الجلد بكميات تكفل لها النفاذ منه والتسرب الى داخل الجسم ، حيث تستطيع الانتشار واحداث تغيرات سرطانية فى بعض الأنسجة •

ويبقى بعد ذلك عامل هام جدا ، وهو تأثير أشعة الشمس ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية فى احداث سرطان الجلد ، وهو على هذا لا يصيب الا الأماكن الظاهرة المعرضة لهذه الأشعة ، ومما لا شك فيه أن الوضوء يكفل أن يرطب المــاء سطح الجلد المعرض للاشعاع بصفة منتظمة ، مما يتيح لخلايا الطبقة الداخلية للجلد أن تحتمى من الآثار الضارة للتعرض لأشعة الشمس •

وعلى هذا فانه بينما تدل الاحصائيات أن سرطان الجلد هو أكثر أنواع السرطان شيوعا بين الرجال فى المجتمع الغربى والولايات المتحدة وأستراليا ، الا أنه فى البلاد المسلمة ليس من أنواع السرطان الشائعة أو كثيرة الحدوث ، وذلك بالرغم من قوة الأشـــعة الشمسية فى هــذه البلاد •



٤ ـ الصــــلاة

يبدأ المسلم فى أداء فريضة الصلاة من سن البلوغ ، وهو السن الذى تحدث فيه استطالة القامة واكتمال النمو ، وهو فى كل ركعة يقف فى استقامة وخشوع ، ثم يركع ويسجد .

وفى كل حركات الصلاة التى يؤديها بانتظام وباستمرار تكون المفاصل لينة والعضلات قوية ، فلا يحدث اعوجاج فى العمود الفقرى ولا تشوهات بالمفاصل ، كذلك تنشط الدورة الدموية فلا يحدث احتقان بالأوردة ولا سيما فى الساقين مما قد ينتج عنــه تكوين جلطة بهــذه الأوردة ، وقد تصل هذه الجلطة الى الشريان الرئوى فلا يصل الدم الى الرئة مما يؤدى الى الوفاة فى معظم هذه الحالات . وجلطة أوردة الساق وانسداد الشريان الرئوى ليست من الأمراض المألوفة الحدوث بين المسلمين، ، بينما فى الولايات المتحدة والبلاد الأوروبية نجد أنها تحدث بنسبة خمسة فى الألف بين المرضى الذين تجرى لهم عمليات جراحية .

والسجود يكفل للرئة أن تخــرج منها الافــرازات المخاطيــة أو الصديدية ، ولا سيما من الفص الأسفل للرئة ، لأنه فى هــذا الوضع تكون الشعب الهوائية المتصلة بهذا الفص فى وضع أعلى من مستوى القصبة الهوائية ، وبهذا تنحدر أى تجمعات مخاطية أو صديدية من هذه الشعب الى القصبة الهوائية ومنها تخرج فى البصاق .

وعلى هذا فان المسلم الذى يسجد فى سبعة عشرة ركعة يؤديها يوميا فى الصلوات المفروضة يمــلأ رئتيه بالهــواء مما يمنع تراكم الافرازات بالشعب الهوائية بحيث يتم طردها أولا بأول ، فلا تحدث منها مضاعفات .

ومما يجدر التنويه به أنه فى حالات حدوث خراج بالرئة فانه بعد أن يتم تحديد موضع الخراج بواسطة الأشعة ، فانه من الوسائل لافراغ الصديد من الخراج ، هو جعل المريض فى وضع يكون فيه الخراج فى

مستوى أعلى من الشعب الهوائية ، وبهذا يمكن خـروج الصـديد بواسطة الجاذبية الى القصبة الهوائية •

والمسلم الذى يؤدى فريضة الصلاة من سن البلوغ ، يجد حين يتقدم به العمر فيصل الى مرحلة الكهولة ثم الى الشيخوخة أنه يحتفظ بعضلات الظهر قوية ، والمفاصل بين الفقرات لا تعانى من التيبس • ذلك لأن حركات الصلاة هى أفضل علاج طبيعى يحفظ للعمود الفقرى حسن الأداء والوقاية من الحالات المرضية مثل الانزلاق الغضروفى وضغط النتوءات العظمية على الأعصاب •

ويكاد أن يكون فى حكم المستحيل أن تجد مسلما ظل يؤدى الصلاة فى أوقاتها على مدى أربعين أو خمسين عاما يصاب بالانزلاق الغضروفى أو بالالتحام العظمى بين الفقرات ، مما يفقد القدرة على الحركة ، أو بغير ذلك من الأمراض والمشاكل الصحية التى تحدث للعمود الفقرى •

* * *

٥ ـ الصيـــام

فى الصيام على مدى ما يقرب من ست عشرة ساعة يستريــح الجسم من تناول الطعام والشراب والتدخين ، مما يعطى الفرصة لخلايا وأنسجة مرهقة بصفة دائمة على مدى احدى عشر شهرا أن تتجدد •

ونحن نعلم أن خلايا قنوات الكلى حين يصيبها التلف الشديد سواء أكان هذا ناتجا عن التعرض لنقل الدم من فصيلة مختلفة عن فصيلة الجسم ، أو لتأثير بعض المواد السامة ، فان الكلى تتوقف عن افراز البول ويحدث تبعا لذلك أن ترتفع نسبة البولينا بالدم ، وكذلك أملاح البوتاسيوم ، مما يهدد الحياة تهديدا خطيرا •

وفى هذه الحالات يكون السبيل الوحيد لانقاذ المريض هو أن يمتنع المريض عن تناول كمية من المـــاء تزيد عما يفقده عن طريق الغـــدد العرقية والتبخر من سطح الجلد والبخار الذى يخرج مع هواء الزفير ، وكمية المـــاء فى هذه لا تزيد عادة عن لتر يوميا ، وكذلك يجب أن يكون الغذاء مقتصرا على النشويات والدهنيات ، وذلك للحـــد من ارتفـــاع البولينا التى تنشأ من تناول البروتين فى الطعام وأيضا يمنع المريض من تناول أى طعام أو سوائل تحتوى على البوتاسيوم مثل عصير البرتقال ، وذلك خوفا من ارتفاع البوتاسيوم بالدم مما يهدد بحـــدوث سكتة قلبية •

وفى معظم الحالات نجد أن اتاحة الفرصة لخلايا الكلى لتجـــد الظروف ملائمة للتجدد ينتج عنه الشفاء التام ، بحيث تستعيد الكلى القدرة على افراز البول ، وبذلك يصبح تركيز البولينا والبوتاسيوم فى المستوى الطبيعى ، وخطة العلاج الناجحة هى أساسا منع المريض من تناول كمية من المـــاء أكثر من القدر الذى يستطيع الجسم أن يتخلص منـــه •

وكذلك من تناول البروتينات والبوتاسيوم ، وبهذا يكون صيام المريض عن تناول ما يضره هو أساس الشفاء من حالة غاية فى الخطورة .

وبالقياس على ذلك ، نجد أن الصيام عما يضر الجسم هو الركيزة الأولى فى علاج أخطر الأمراض ، فنحن نمنع المصاب بارتفاع ضغط الدم من ملح الطعام ، ومريض السكر من النشويات ، ومريض تصلب الشرايين من الدهنيات ، ومريض الكلى من البروتينات ، ومريض النقرس من اللحم وبعض الخضراوات ، ومريض الأملاح فى البول من بعض الخضراوات ، ومريض قرحة المعدة من البهارات والخمر ، ومريض الرئة من التدخين ، وكذلك مريض انسداد شريان الساق فانه لا يسمح له بالتدخين .

وفى حالات زيادة كمية المـاء بالجسم تحدث أعراض شـديدة منها هبوط القلب ، وحدوث ارتشاح بالرئة ، نجد أن العلاج يبدأ بمنع المـاء عن المريض الى أن تستطيع الكلى أن تفرز كمية المـاء المختزنة والزائدة عن طاقة الجسم .

ونستطيع أن نجعل الفوائد الصحية للصيام كما يلى :

أولا — فى الصيام يقل حجم الدم ، نظرا لفقد السوائل فى العرق والتبخر من سطح الجسم والبول ، وذلك دون تعويض هذه السوائل بسبب الصيام .

وقلة حجم الدم ينتج عنها أن المجهود الذى تبذله عضلة القلب فى ضخ الدم من الأوردة الى الشرايين يكون أقل ، وهذا من شأنه أن يعطى عضلة القلب فترة من الراحة تمتد الى ما يقرب من ست عشرة ساعة ، وعضلة القلب التى تعمل ليل نهار طول العام لا تتاح لهـا ساعات من العمل دون اجهاد كبير الا خلال ساعات الصيام الذى يمتد على مدى ثلاثين يوما ، مما يتيح للعضلة أن تجدد حيوية وقوة الألياف العضليـة .

ولا يستطيع العقل أن يفكر فى وسيلة يمكن أن تحقق لعضلة القلب البناء والاصلاح والتجدد الا بصيام شهر رمضان •

ثانيا ــ الجهاز الهضمى يعمل بصفة دائمة طوال العام ، وحين يجىء شهر رمضان تتاح الفرصة للمعدة والأمعاء أن تظل على مدى ساعات متتالية خالية تماما من أى طعام ، وهذا شىء فريد فى حد ذاته •

وبهذا تهدأ حركات وافرازات المعدة والأمعاء ويمكن أن تكون هذه هى الفرصة الملائمة التى تشفى فيها القرح أو الجروح بالأغشية المخاطية ، وأيضا يتوقف الامتصاص من الأمعاء ، فلا يصل الى الكبد أحماض أمينية أو جلوكوز أو أملاح ، وعلى هذا فان الخلايا الكبدية لا تستطيع أن تقوم بتكوين مركبات جليكوجين أو بروتينات أو كوليسرول لعدم وصول مكونات هذه المركبات ، وذلك نتيجة لخلو الأمعاء من أى طعام وبالتالى توقف الامتصاص •

ولما كان تكوين هذه المركبات هو أهم عمل للخلية الكبدية ، فان ساعات الصيام تتيح الظروف الملائمة للبناء والاصلاح واعادة التكوين ومن الثابت فى علم الأمراض أن الخلية الكبدية هى من أقدر خلايا الجسم على الالتئام وتكوين خلايا جديدة ، وهذا هو ما يحدث بعد موت خلايا كبدية فى حالات التهاب الكبد الفيروسى ، وكذلك يتيح الصيام الفرصة للخلايا الكبدية فى التخلص مما قد يكون قد ترسب فى داخلها من دهنيات ، ذلك لأنه من الأمراض الشائعة هو ترسيب وتخزين الدهنيات داخل الخلايا الكبدية وهو ما يعرف بالتآكل أو الهدم الدهنى ، وفى الصيام تنخفض الدهنيات فى الدم الذى يصل الى الكبد ، ذلك لعدم امتصاص أى دهنيات على مدى ساعات متتالية ، وهذا قد يكون سببا لخروج الدهنيات عبر جدار الخلية الكبدية •

ولنا أن نقول ان كان شهر رمضان هو العبادة والاستغفار وصفاء النفس ، فهو للجسم استعادة للقوى ونماء للصحة وتجديد للخلايا المرهقة •

وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« وأن تصوموا خير لكم » • (البقرة : ١٨٤)

وطبيا •• توجد حالات مرضية لا يسمح فيها الطبيب بالصيام ، مثل مرض السكر الشديد الذى يحتاج فيه المريض الى الحقن بالأنسولين فى أوقات منتظمة أو الفشل الكلوى المزمن الذى يجب أن يتناول فيه المريض كميات كافية من السوائل على مدى اليوم كله ، وغير ذلك من الحالات المرضية الخاصة •

الا أن الحقيقة المبهرة فى أمر الصيام أن المسلم المعافى الجسم فى فترة الصيام من النادر جدا أن يصاب بأزمة صحية طارئة مثل الذبحة الصدرية أو جلطة أو نزيف المخ أو النزيف المعوى ، وسجلات أقسام الاستقبال بالمستشفيات هى خير دليل على ذلك •

ومنذ أكثر من خمسين عاما نشر الأستاذ الدكتور عبد الوهاب مورو بحثا بمجلة الجراحين الانجليزية ذكر فيه أنه فى أثناء شهر الصيام ، قام باجراء جراحتين لحالتين انسداد نتيجة تداخل الأمعاء ، وأثار فى البحث احتمال أن يكون الصيام هو سبب لحدوث الانسداد من تداخل الأمعاء ، وقد تلقف الجراحون الانجليز هذا البحث بمزيد من الاهتمام والابتهاج ، الا أنه لم يثبت على مدى السنين الطويلة التى مرت منذ أن نشر هذا البحث أن هناك أى زيادة فى حدوث تداخل الأمعاء فى شهر الصيام ، بل على العكس من ذلك ، فان فى جميع الأزمات الصحية الطارئة فى القناة الهضمية فان من البديهيات المسلم بها أنه يجب على المريض أن يمتنع عن تناول أى شىء بالفم ، حتى تبدأ الأمعاء فى العمل بشكل منتظم وطبيعى مثل اخراج الأرياح أو التبرز ، والجراح فى هذه الحالات يأمر بصيام المريض صياما تاما حتى تمر الأزمة ، ومن أول ما يدرسه طالب الطب فى السنة النهائية أن شلل الأمعاء لا يعالج الا باتاحة الفرصة للأمعاء أن تستريح وتسترد قدرتها على الانقباض ، وذلك بالصيام وشفط العصارات والافرازات من المعدة بواسطة أنبوبة معدية •

ثالثا ــ يقول الله تعالى :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » (البقرة : ١٨٧)

تنص هذه الآية على أن الله قد أحل مباشرة النساء فى ليالى رمضان ، وبينما يحل للمسلم أن يباشر زوجته فى أى وقت يشاء الا فى شهر رمضان ، فانه لا يأذن الله له أن يباشر زوجته فى ساعات الصيام ، وعلى هذا فانه فى شهر الصوم تأخذ الحياة الجنسية طابعا مختلفا عما يحدث طيلة العام •

واذا علمنا أن العملية الجنسية تحدث فيها تغيرات فسيولوجية عميقة الأثر فى أجهزة الجسم ، اذ أنه نتيجة للتغييرات فى افراز هرمونات متعددة مثل الأدرينالين والكورتيزول والبروستاجلاتدين والسيروتينين ، يرتفع ضغط الدم ، وتزداد سرعة النبض ، وتزداد قوة انقبــاض عضلة القلب ليرتفع معدل ضخ الدم فى الشرايين لأن رفع كفاءة الدورة الدموية هو الركيزة الأولى لكى يتم الانتصاب الكامل لعضو الذكورة •

وعلى هذا فانه فى شهر الصيام ، بما أن المعاشرة الجنسية ليست مباحة الا فى الليل ، فان ارهاق الرغبة الجنسية لعضلة القلب تقل حدته فى رمضان ، وبهذا تصبح هناك فرصة متاحة شهرا كل عام فى حياة المسلم ، تصان فيه صحته وتتجدد حيويته •

* * *

الفصـــل الثانى

المحرّمات .. والعلوم الطبّية

١ ـ تحريم أكل لحم الخنزير

لحم الخنزير حرمه الله على المؤمنين تحريما قاطعا بقوله سبحانه وتعالى :

« انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » .

(البقرة : ١٧٣)

وتحريم أكل لحم الخنزير ، هو من أجل أن يحفظ الله عباده من الأذى الذى قد يقع بهم ان هم أكلوا لحم هذا الحيوان النجس .

ودراسة علم الطفيليات ، تبين أن هناك نوعا من الديدان يـدعى دودة « التينيا » ، وهناك صنفان منها : دودة « التينيا ساجينايا » ويدعى أيضا دودة البقر الشريطية ، والصنف الثانى هو دودة « التينيا سوليم » ويدعى أيضا دودة الخنزير الشريطية ، وهناك أوجه شبه وتماثل كثيرة بين هذين الصنفين من ناحية الشكل ودورة الحياة وطريقة اصـابة الانسان بالعدوى ، وذلك لأن دودة « التينيا » سواء أكانت دودة البقر الشريطية أو دودة الخنزير الشريطية ـ تعيش فى الأمعاء الدقيقـة للانسان ، الا أن وجود دودة الخنزير الشريطية فى الأمعاء فى الانسان قد ينتج عنه مرض غاية فى الخطورة اسمه مرض « السيستو سريكوزس » وهـذا المرض لا يصيب من يمتنـع عن أكـل لحـم الخنزيـر ، أى أن دودة البقر الشريطية لا يحدث منها مضاعفات خطيرة .

وخطورة هذا المرض هى أنه قد ينتج عنه تلف فى عضلة القلب أو العين أو المخ أو العضلات ، وعلى هذا فالأعراض التى يمكن أن تظهر

قد تكون هبوطا فى القلب وفشل فى الدورة الدموية ، أو فقدان البصر ، أو الشلل ، أو الصرع •

والمرض الآخر الذى يمكن أن يصيب الانسان من أكل لحم الخنزير ، يدعى « تركينوزس » وأعراضه هى القىء والاسهال وتقلصات الأمعاء ، أما فى الجسم عامة فهى احتقان العينين ــ ألم فى العضلات ــ ارتفاع درجة الحرارة ــ طفح جلدى ــ صعوبة فى التنفس • وتحدث الوفاة فى الحالات الشديدة بسبب حدوث التهاب رئوى وهبوط حاد بالقلب •

والمسلم اذ يطيع الله سبحانه وتعالى ، فلا يأكل لحم الخنزير ، انما يحترم آدميته ويعتز بطهارة جسمه ، فلا يأكل لحم حيوان نجس يعيش على الفضلات والقاذورات ، ولا يأنف أن يأكل لحم فأر ميت أو خنزير ميت • وقد أمر الله المؤمنين أن يأكلوا الطيبات وحرم عليهم الخبائث بقوله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » • (البقرة : ١٧٢)

* * *

٢ ــ تحريم الدم المسفوح

حرم الله سبحانه وتعالى الدم المسفوح ، وذكر علماء المسلمين أن السر فى تحريمه، أنه مستقذر يعافه الطبع الانسانى ، كما أنه مظنه للضرر •

الا أنه من ربع قرن اكتشف الأطباء الآثار البالغة الخطورة التى تنشأ من وجود الدم داخل الأمعاء ، فانه حين يحدث قىء دموى نتيجة تليف كبدى أو قرحة المعدة أو الاثنى عشر ، تتكون الأمونيا داخل تجويف الأمعاء ، وتصل عن طريق الوريد البابى الى الكبد ، الذى يحولها الى بولينا ، التى تقوم الكلى باستخلاصها من الدم وتفرزها فى البول •

الا أنه فى حالة تليف الكبد وهبوط وظائفه فان الكبد يفشل فى

تحويل الأمونيا الى بولينا ، وينتج عن هذا أن تخرج الأمونيا من الكبد الى الدورة الدموية ويرتفع تركيزها فى الدم ، وينتج عن هذا أن تتعطل وظائف الخلايا المخية مما يؤدى الى حدوث غيبوبة تسمى الغيبوبة الكبدية •

وعلى هذا فان شرب الدم المسفوح قد يؤدى اما الى ارتفـاع البولينا بالدم مما يهدد بحدوث فشل كلوى ، أو بارتفاع نسبة الأمونيا فى الدم وحدوث غيبوبة كبدية • وبالاضافة الى ذلك ، فان الآثار الضارة التى يمكن أن تحدث علاوة على ذلك هى :

أولا : فيروس التهاب الكبد الوبائى قد يكون موجودا بالدم الذى يشربه الانسان ، وبذلك تنتقل اليه الاصابة بهـذا المرض الخطير الذى يحدث تلفا خطيرا فى خلايا الكبد ، مما قد يؤدى الى الوفاة من الفشل الكبدى ، أو حدوث تليف بالكبد وارتفاع الضغط فى الوريد البابى مما يؤدى الى قىء دموى وغيبوبة كبدية •

ثانيا : يحتوى الدم على مواد تدعى انتيجنات ، ويتفاعل الجسم مع هـذه المواد بتكوين أجسـام مضادة ، وبتكرار شرب الدم قـد تحدث حالة حساسية شديدة من تفاعل الانتيجنات مع الأجسام المضادة •

وعلى هـذا •• فان الثابت طبيا أن شرب الدم المسفوح يضر أشد الضرر ويهدد الحيـاة تهديدا خطيرا ، وتحريم الدم المسفوح قد أثبت العلم فقط من ربع قرن خطورته البالغة ، وذلك باكتشاف ارتفاع تركيز الأمونيا فى حالة الغيبوبة الكبدية التى تحدث نتيجة للقىء الدموى فى دوالى المرىء بسبب التليف الكبدى •

وقبل ذلك لم يكن مفهوما أى علاقة بين وجود دم داخل الأمعاء وحدوث مضاعفات نتيجة لامتصاص مكونات الدم ، ولاسيما البروتينات ووصولها الى الكبد •

وهكذا نجد أن تحريم شرب الدم هو اعجاز قرآنى حيث ان حكمته الطبية البالغة الأهمية لم تفهم الا من عهد قريب •

* * *

٣ ـــ تحريم أكل الميتة

يقول الله تعـــالى :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل الســبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب » (المائدة : ٣) •

المسلم لا يأكل الا لحم الحيوان المذبوح شرعا ، لأنه بهذا يكون اللحم خاليا تماما من الدم ، وقد سبق أن ذكرنا أن وجود الدم داخل الأمعاء قد ينتج عنه أضرار صحية بالغــة الخطورة ، وذلك حين يرتفع تركيز الأمونيا بالدم مما قد ينشأ عنه غيبوبة كبدية •

كذلك ، فان الميتة تكون فى معظم الحالات نتيجة لاصابة الحيوان بمرض خطير مثل السل ـــ ميكروب السلامونيلا ـــ دودة الكبد • وكل هـــذه الأمراض يصاب بها من يأكل الميتة طالمــا كان الداء كامنا بها ؛ وقد قال الله تعالى : **« قل أحل لكم الطيبات »** (المائدة : ٤) •

وعلى هـــذا •• فان المسلم يعاف أن يأكل لحم حيوان ميت لا يعلم متى مات ولا لمـــاذا مات ؛ لأنه اذا فعل ذلك فانه يكون قد قبل على نفسه أن يبتلع لحما عفنا قذرا لا يصلح لطعام آدمى ، فضلا عما يحتويه من دماء مختزنة بالعروق ، مما قد يحدث أفدح الأضرار حين يتم امتصاصه من الأمعـــاء •

* * *

٤ ـــ تحريم اقتناء الكلاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتخذ كلبا الا كلب صيد أو زرع أوماشيةانتقص من أجره كل يوم قيراط » ••

وقال صـــلى الله عليـــه وسلم : « اذا ولغ كلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات احداهن بالتراب » ••

وقال صـــلى الله عليـــه وسلم : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم أمرت بقتلها » ••

مداعبة الكلاب وتقبيلها والســماح لهـا بلحس الأيدى قد ينقل أمراض عاية فى الخطورة ••

أولا : مرض الكلب ، وقد يكون مميتا باارغم من العلاج ، وذلك فى الحالات الجديدة •

ثانيا : الاصابة بالدودة الشريطية للكلب ، وتكون الاصابة بها فى جســم الانســان بتكوين كيس يدعى كيس « هيداتيد » ، ويوجد فى معظم الحالات داخل الكبد ، ولكن من الممكن أن يصيب الرئة ــ الطحال ــ البنكرياس ــ المخ ــ الكلى • وليس هناك علاج الا التدخل الجراحى لأن كيس « هيداتيد » قد يحدث منه مضاعفات عاية فى الخطورة •

ثالثا : فى أمعاء الكلاب توجد دودة تدعى دودة « الميلتيسبس » ، وبيض هذه الدودة يخرج مع براز الكلب ، وقد تحدث العدوى للانسان من ابتلاع هذا البيض الذى يؤدى الى تكوين كيس بالمخ ينتج عنه شلل ــ تشنجات ــ فقدان الابصار ــ فقدان القدرة على التوازن ، وليس هناك علاج الا التدخل الجراحى •

وليس من أخلاق المسلم أن يداعب الكلاب أو يقبلها ، وهو اذا فعل ذلك فهو يمتهن آدميته ويستحق أن يصاب بأخطر الأمراض ، لأنه لا شك أن مرض « الهيداتيد » اذ يصيب الكبد بأكياس يهدد حياة المريض تهديدا خطيرا وقد لا تجدى الجراحة فى بعض الحالات ، أو قد يحدث انفجار مفاجىء فى جدار الكيس مما يؤدى الى احداث صدمة عصبية وانتشار للأكياس داخل التجويف البريتونى ، وهى مشاكل صحية بالغة التعقيد ، ومنها أيضا ظهور الأكياس فى المخ أو العمــود الفقرى ، وقلما ينجو المريض فى هــذه الحالات من الاصابة بالشلل أو الأعراض العصبية الخطيرة •

* * *

٥ ــ تحريم الخمــر

يقول الله تعــالى :

« يا أيها الذين آمنوا انمــا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (المائدة : ٩٠ ، ٩١) •

الخمر تؤثر تأثيرا سـيئا على الكبد ، فيحدث فيه تليف يؤدى الى ارتفاع ضغط الدم فى الوريد البابى ، مما ينتج عنه قــىء دموى وغيبوبة كبدية واستسقاء وفشل كبدى مميت •

وكذلك يؤدى تعاطى الخمر الى حدوث التهاب بالبنكرياس قد يكون حادا أو مزمنا وتحدث الآلام الشـديدة بالبطن وضغط على القــناة المرارية ، وكذلك نتيجة لفقدان خلايا البنكرياس قدرتها على افــراز الهرمونات والانزيمات ، ويحدث مرض السكر والهزال الشــديد نتيجة لعدم قدرة الأمعاء على امتصاص الدهنيات من الأمعاء •

وتليف الكبد والتهاب البنكرياس من الأمراض التى لا يمكن الشفاء منها ، والتدخل الجراحى أو العلاج الباطنى ، انما يهدفان الى عــلاج المضاعفات أو الأعراض فقط . ولكن التليف وهبوط الوظائف ليسا هناك من سبيل الى الشفاء منهما •

وكذلك يحدث ادمان الخمر ، اضطرابا خطيرا فى القدرات الذهنية وفى الشخصية والسلوك والاحساس بالقيم الانسانية ، كذلك تلتهب أعصاب الأطراف مما يؤدى الى ضعف الاحساس فى اليدين والقدمين وضعف فى العضلات •

كما يؤدى ادمان الخمر الى الاصابة بالسرطان فى الفم واللســان والبلعوم والحنجرة والبنكرياس •

وقد ثبت أن تناول الخمر ، قد يؤدى الى ارتفاع ضغط الدم نتيجة لزيادة افراز هرمون الكورتيزول الذى تفرزه الغدة الكظرية (الغـــدة فوق الكلى) وقد يفسر ذلك ما أظهرته الدراسات أن الوفيات من هبوط القلب نسبتها بين المدمنين للخمر أعلى بالمقارنة مع الذين لا يقربون الخمـــر •

ومن المؤكد أن الخمر ليس دواء لأى مرض ، وليس صحيحا أن تناول الخمر ينشط الدورة الدموية بالأطراف ، ويمنع تقلص الشرايين التاجية . ذلك لأن تعاطى الخمر لا يقلل من حدوث أمراض الشرايين التى تؤدى الى حدوث قصور فى الدورة الدموية بالأطراف أو الذبحة الصـــدرية •

ويجب على المسلم أن يمتنع عن استعمال أى دواء يدخل الكحول فى تركيبه ، وأن يستبدله بأقراص أو كبسولات •

***

٦ ـــ تحريم الزنا

يقول الله تعـــالى :

« قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون • والذين هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » (المؤمنون : ١ ـــ ٧) •

وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم يحفظون فروجهم الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، ووصف الله الذين يبتغون غير ذلك بأنهم العادون •

وقد جاء فى السورة التالية لسورة المؤمنون ، وهى سورة النور عقاب عقاب هؤلاء العادون فى قول الله سبحانه وتعالى :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (النور : ٢) .

وصف الله المؤمن بأنه يحفظ فرجه ، وحفظ الشىء : رعاه وصانه فقد حرم الله عليه الزنا بقوله سبحانه وتعالى :

« وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان » (النساء : ٢٥) .

والمسافح والمسافحة ، الزانى والزانية جهرا ، والمسافح والمسافحة اللذان لا يمتنعان عن أحد .

ويطلق الخدن على المذكر والمؤنث ، والرجل خدن المرأة والمرأة خدن الرجل ، والجمع أخدان ، ويقال لمن يزنى بواحدة أو تزنى بواحد ذو خدن وذات خدن .

والمسلم اذ يطيع الله فيحفظ فرجه ، فانه يحفظ جسمه من الاصابة بالأمراض التناسلية وهى من أشد الأمراض خطورة ، وقد تمتد آثارها ومضاعفاتها الى نهاية العمر فمرض الزهرى تكمن الاصابة به فى الجسم، وتظهر أعراضه فى ثلاثة مراحل ، وقد يصيب الجهاز العصبى بأضرار بالغة كالجنون أو ضمور وتليف الأعصاب ، مما يؤدى الى فقدان التوازن والاحساس فى الأطراف ، وقد يصيب شريان الأورطى الصاعد من البطين الأيسر فيحدث تلف شديد فى جداره ، مما يؤدى الى تمدد الأورطى تحت تأثير ضغط الدم ونبض القلب .

وليس هناك من علاج لمثل هذه الحالات الا استبدال الجزء التالف من الأورطى بشريان صناعى مصنوع من مادة « الداكرون » ، ومن البديهى أن هذه الجراحات غاية فى الخطورة والدقة .

وقد ينشأ عن مرض الزهرى ، حدوث ورم سرطانى فى الفم — اللسان — البلعوم — الحنجرة ، وهكذا تظل لعنة الاصابة بمرض

الزهرى تطــارد المريض على مدى عمره كله حتى تقضى عليــه بعد المعاناة والعــذاب .

أما المرض التناسلى الآخر ، فهو مرض السيلان ، وهو يصيب قناة مجرى البول بالتهاب صديدى ، مما قد يؤدى فى الرجل الى حدوث تليف وضيق بمجرى البول أو قد يمتد الى الخصية والقناة المنوية ، فينتج عن هــذا الاصابة بالعقم .

وفى المرأة يصاب عنق الرحم بالتهابات وقروح ، وقد يمتد المرض الى الرحم والمبيض وقناة الرحم ، فتحدث تجمعات صديدية والتصاقات ، وكل هذا يسبب العقم ، وقد ينتج عن اصابه عنق الرحم بمرض السيلان حدوث ورم سرطانى .

الزنا .. يؤدى الى الأصابة بمرض الزهرى ، والمريض بهذا المرض ينقله الى ذريته ، فهو يورثهم داء غاية فى الخطورة ، فيصيبهم بتشوهات وتلف فى أجهزة الجسم ، مما يؤدى الى اضطراب النمو الذى قد يصل الى درجة العجز الكامل أو التخلف العقلى .

* * *

٧ — تحريم اللواط

يقول الله تعالى عن قوم لوط :

« أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » (الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦) .

اللواط من الكبائر ، وقد اختلف فقهاء الاسلام فى عقوبة ارتكاب هــذه الفاحشة :

أيحدان حد الزانى ؟

أم يقتل الفاعل والمفعول به ، وبأى وسيلة يقتلان ؟ أبالسيف أم بالنار ؟ أم بالالقاء من فوق جدار ؟ .

وقد قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « لا تأتوا النسـاء فى أدبارهن » ••

وقال فى الذى يأتى امرأته فى دبرها : « هى اللوطية الصغرى » •

واللواط •• من أبشع ما يمكن أن تبتلى به المجتمعات ، فهو الخراب المدمر للأخلاقيات والقيم •

اللواط •• يحدث أضرارا بالغة بالشرج ، منها التهابات فتحـة الشرج وتهتك فى العضلات القابضة والاصابة بالأمراض التناسلية . وأخطرها هو مرض « الليمفوجرانيولوما » الذى ينتج عنه تلف شديد بجدار الشرج ، مما يفقده القدرة على اخراج البراز بسبب حدوث ضيق شـديد وانسداد ، مما يستدعى العلاج الجراحى الذى يتلخص فى اسـتئصال الشرج وعمل فتحـة بالبطن لكى يخرج بواسطتها البراز من القولون •

ويؤدى اللواط الى انتشار العدوى بالزهرى والسيلان ، وكذلك التهاب القضيب وقناة مجرى البول •

وليس الضرر النفسى بأهون من الضرر الجسـدى ، فان اللواط هو فقدان الرجولة واهدار أعظم قيمة فى الحيـاة • واذا أصاب مجتمعا فانه يدمره تماما ، والذى يقرأ قصـة قوم لوط يدرك الى أى مدى ذهب الفسق بعقول هؤلاء القوم فحق عليهم العذاب •

وقد تفشى اللواط فى المجتمع الأوروبى والأمريكى حتى أصبح علاقة مشروعة تحميها القوانين ويباركها المجتمع ، ولا شك أن هـذا هو نهاية هـذه المجتمعات التى تعيش فى غيبة عن القيم الدينية فيصبح أمرها فرطا وتتفشى فيهـا الحيوانية وبهيمية اللواط والزنا والسفاح •

* * *

٨ ـ تحريم مجامعة النساء فى المحيض

يقول الله تعـالى :

« ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (البقرة : ٢٢٢) •

وقد قال النبى عليـه الصلاة والسلام : « انما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ، ولم آمركم باخراجهن من البيوت » •

مجامعة النسـاء فى المحيض ، تؤدى الى أضرار صحية بالغـة فى الرجل والمرأة على السواء ، ففى الرجل قد يحدث دم الحيض التهابا بقناة مجرى البول قد يمتد الى الجهاز البولى أو الى الخصيتين •

وفى المرأة ، من الممكن حدوث التهابات شديدة قد تنتشر من عنـق الرحم لكى تصـل الى قنـاة الرحم والمبيض ، مما يؤدى الى العقم والتجمعات الصديدية •

القلوب تخشع حين تقرأ قول الله :

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ••

والمسلم دائمـا أبدا طاهرا حياة وسلوكا ومعاشرة •

* * *

٩ ـ تحريم المخـدرات

يقول الله تعـالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (البقرة : ١٩٥) •

التهلكة : هى ما يفضى الى الهلاك ••

والمخدرات لا شـك تفضى الى الهلاك ، فهى على هـذا محرمة

تحريما قاطعا بجميع أنواعها ، فسواء أكانت الحشيش أو الأفيون أو حقن المورفين وما هو فى حكمها أو عقار الهلوسة ، فكلها تؤثر تأثيرا مهلكا على أعظم ما أنعم الله به على الانسان وهو نعمة العقل والاحساس بالقيم الانسانية وتقدير الالتزام بطاعة الله وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ادمان المخدرات يخلق للمدمن عالما يعيش فيه بعيدا عن واقع الحياة ، كل الأحاسيس فيه مزيفة ، فالشعور بالسعادة أو المرح هو فى الحقيقة التردى الى أسوأ ما يمكن أن يكون عليه الانسان من اهدار لآدميته وامتهان لذاته .

وليس تأثير المخدرات بقاصر على اتلاف العقل وغيبوبة الضمير ، بل يمتد الى الجسم فيؤثر على عضلة القلب وعلى انتظام دقات القلب ، وقد يؤدى الافراط الى حدوث سكتة قلبية ، وكذلك المدمن الذى يتعاطى المخدرات عن طريق الحقن الوريدية ، يتعرض للاصابة بالتسمم الميكروبى الدموى وكذلك التهاب الكبد الوبائى .

ويحدث نتيجة ادمان المخدرات تدهور مطرد فى الحالة الصحية وانهيار فى قدرة الجسم على مقاومة الأمراض نتيجة لفترات الغيبوبة المتكررة ، ففقدان الشهية وحرمان الجسم من الحصل على الوجبات الغذائية المنتظمة .

وهكذا ينتج عن ادمان المخدرات الهزال وانحطاط القوى ، ويصحب ذلك تغيرا سيئا مطردا فى السلوك والتفكير ، والتعرض لحدوث نوبات من الهياج وفقدان السيطرة ولاسيما الذين يتعاطون أقراص الهلوسة .

وقد حدث تحت تأثير هذه الأقراص جرائم مروعة غاية فى الوحشية ، ولا شك أن أخطر ما يهدد المجتمع الغربى — ولا سيما فى أمريكا — هو انتشار هذه الأقراص وعقار «الماريجونا» «والهيروين» ، وقد بلغ الادمان حدا مروعا ؛ وقد تبع هذا زيادة خطيرة فى الجريمة والعنف واغتصاب الفتيات ، وبذلك بدأت نذر انهيار المجتمع فى هذه البلاد حيث أحس ولاة الأمور بفقدان السيطرة وانعدام القيم وتغلب الشهوات الحيوانية فى السلوك والتفكير ، وتفككت الروابط العائلية

واختفى النوازع الدينى والضوابط السلوكية والأخلاقية ، وسوف يؤدى هـذا الى خراب هـذه البلاد وزوال حضارتها •

* * *

١٠ ــ التدخـين

يقول الله تعـالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (البقرة : ١٩٥)

ينبغى ألا يساور أحد الشك فى أن التدخين محرم ــ وذلك بنص الآية السابقة ــ ذلك لأنه على ضوء ما توافر فى العلوم الطبية ولا سيما فى العشرين عاما الأخيرة من أدلة ، فان التدخين هو أحد وسائل هلاك الجسم فان آثاره الضارة أصبحت تشكل مشكلة صحية مستعصية على النطاق العالمى ؛ نظرا لانتشار التدخين بصورة متزايدة خطيرة ولاسيما بين الشباب والمراهقين ، واذا استمر هذا الخطر الداهم على ما هو عليه الآن فانه لاشك أن التدخين سوف يكون أهم سبب للوفاة فى العقدين المقبلين •

وفى يقينى أنه لو تبصر من يشعل السيجارة ويدخن قطرانها داخل صدره وفى أعماق جسمه مدى الجرم الذى يحدثه فى صحته التى أنعم الله عليه بها ، لمـا فكر أبدا فى هذا العبث ، فان التدخين هو أهم سبب لحدوث سرطان الرئة وهو من أشد أنواع السرطانات ضراوة وفتكا بالانسان ، وليس هناك من سبيل الى الشفاء منه ، وكذلك التدخين هو أحد أسباب حدوث سرطان الحنجرة والفم والبلعوم واللسان والبنكرياس •

وكذلك يحدث التدخين تقلصا بالشرايين ، وعلى هذا فهو أحـد الأسباب الرئيسية للذبحة الصدرية بما يسببه من تقلص وضيق بالشرايين التاجية ، وكـذلك ينتج عن الافـراط فى التدخـين فى الشبان تقلص بشرايين القدم وهو مرض يدعى مرض « بيرجير » وينتهى بحدوث

غرغرينا بالقدم ، مما يستدعى اجراء بتر بالساق واستئصال العصب السمبتاوى •

وفى كل الأحوال ، يؤثر التدخين تأثيرا ضارا على جدران الشرايين ، فهو فى السن المتقدمة أحد الأسباب التى تؤدى الى عدم كفاءة وصول الدم الى الأطراف والى القلب والى المخ •

والتدخين على مدى سنين طويلة يحدث آثارا ضارة بالرئة فيحدث التهاب بالشعب ، وتمددا بالحويصلات الهوائية ، وفقدانا فى المرونة ، مما يؤدى عاما بعد عام الى حدوث فشل رئوى وتضخم بالشريان الرئوى وهبوط البطين الأيمن بالقلب •

وهذا كله يفسر أن التدخين من أهم الأسباب التى تزيد من معدل الوفيات ، وهذه هى الحجة الكبرى التى تؤيد أن التدخين حرام ، وذلك لأنه ليس للمسلم أن يقوم بأعمال انتحارية فأمه المسلمين هى خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، وهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، عليهم حماية الاسلام والمسلمين ورفع كلمة الدين ، والمسلم بهذا مكلف دينا أن يحافظ على صحته وسلامة جسمه •

* * *

١١ ـ المحرمات بالرضاعة

يقول الله تعالى :

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » • (النساء : ٢٣)

وقد أثبت الطب الحديث أن الاستعداد للاصابة بسرطان الثدى قد ينتقل عن طريق الرضاعة ؛ ذلك أنه اكتشف أن الأم التى تنحدر من

أسرة حدثت بها حالات سرطان الثدى ، يحتوى لبن الثدى عندها على جزئيات دقيقة تشبه الفيروس ، ومثل هذه الأم حيث تقوم بارضاع طفل ــ سواء أكان من ذريتها أو من أخرى ــ فانها تنقل الى جسمه هذه الجزئيات الدقيقة التى تكمن فيه على مدى الحياة •

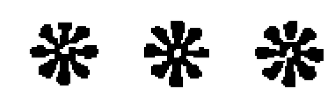
فالرجل الذى رضع فى طفولته من لبن يحتوى على هذه الجزئيات الدقيقة يحتوى السائل المنوى عنده على هذه الجزئيات ، وبهذا يمكن أن يورثها لذريته ، أما المرأة فانها حيث انها رضعت لبنا يحتوى على الجزئيات ، فهى تنقل هذه الجزئيات الى كل من تقوم بارضاعه •

وعلى هذا •• فان الحكمة من تحريم زواج الأخوات من الرضاعة هو منع قيام أسر ترتفع فيها احتمالات الاصابة بسرطان الثدى ، وذلك فى حالة أن يتزوج رجل من أخته بالرضاعة ويكون الثدى الذى رضعا منه يحتوى لبنه على الجزئيات الدقيقة التى تجعل احتمال الاصابة بسرطان الثدى عاليا جدا ، وعلى هذا فان الذرية التى سوف تجىء نتيجة هذا الزواج سوف تتعرض الاناث منها للاصابة بسرطان الثدى بنسبة أعلى جدا من المعدل المــألوف •

وفى أوائل السبعينات قام فريق من علماء الأورام الأمريكان ببحث غاية فى الأهمية فى هذا الصدد ، فقد قاموا باحصاء حــالات سرطان الثدى فى مدينة « بومباى » بالهند حيث توجد قبيلة « البارسى » وهذه القبيلة تعتبر كمجتمع مغلق لأنه لا يتم الزواج الا بين أفــراد القبيلة ، وزواج الأخوات من الرضاعة فى هذه القبيلة شائع جدا ، وقد تبين أن سرطان الثدى يمثل خمسين فى المــائة من حالات الاصابة بالسرطان بين الاناث ، بينما الاصابة بسرطان الثدى بين النساء المسلمات فى مدينة « بومباى » منخفضة بالمقارنة بنساء قبيلة « البارسى » •

وقد جاء هذا البحث الذى استهدف محاولة لفهم أسباب حدوث سرطان الثدى وتأثير عوامل الوراثة فى ذلك دليلا قاطعا على الحكمــة البالغة الأهمية من تحريم زواج الأخوات ، وذلك لأنه تعرض بالبحث العلمى الدقيق الى قبيلة عاشت مئات السنين فى عزلة تامة عن بقية

سكان مدينة « بومباى » من المسلمين والهندوس ، وقد ثبت فى هذا البحث ارتفاع نسبة حدوث سرطان الثدى بين أفراد القبيلة ، وكذلك ارتفاع نسبة وجود الكائنات الدقيقة فى لبن الثدى ، وكل هذا نتيجة مباشرة لزواج الاخوة من الرضاعة فى قبيلة البارسى •



الفصل الثالث

القرآن الكريم .. والعلوم الطبية

١ ــ علم الأجنـــة

أولا ــ يقول الله تعــالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ٠ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ٠ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » (المؤمنون : ١٢ ــ ١٤) ٠

ويقول تعالى :

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها المــاء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » (الحج : ٥)

ويقول تعالى :

« وأنه خلق الزوجــين الذكر والأنثى ٠ من نطفة اذا تمنى » (النجم : ٤٥ ، ٤٦)

ويقول تعالى :

« ألم يك نطفة من منى يمنى » (القيامة : ٣٧) ٠

ويقول تعالى :

« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » (الانسان : ٢)

النطفة : المـاء الصافى ، وسمى ماء الرجل وماء المرأة — أى منيهما — نطفة ، وهو المراد بالنطفة فى الكتاب العزيز حيث وقع .

العلقة : العلق ، هو الدم الجامد الغليظ الذى يعلق بما يمسه ، والقطعة منه علقة .

أمشاج : مشج الشىء يمشجه مشجا : خلطه بغيره ، ولمـا كانت النطفة التى يتكون منها الجنين يختلط فيها منى الذكر ومنى الأنثى ، فهى توصف بأنها أمشاج .

المضغة : يقال لقطعة اللحم التى هى قدر ما يمضغ مضغة ، ومن هذا قيل للجنين فى بطن الحامل حين يصير قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم مضغة بعد أن كان علقة وهو طور من أطوار الخلق .

مخلقة وغير مخلقة : أى تامة الخلق وغير تامة .

علم الأجنة يفسر ماورد فى الآيات السابقة من حقائق علميـة ، وكل ما توصل اليه العلماء والباحثون فى دراسات علم الأجنة وصفه الله فى القرآن وصفا دقيقا محكما ، فان الحياة تنشأ من اتحاد حيوان منوى ببويضـة الأنثى ، وقد وصـف الله هـذه البداية فى قوله تعالى : **« ألم يك نطفة من منى يمنى »** .

ويتم هذا الاتحاد فى قناة الرحم وهى التى توصل تجويف الرحم بالتجويف البريتونى وتلتف حول المبيض ، وفى هذا المكان تكون الظروف ملائمة لنشأة الحياة حيث انه مجاور للتجويف الرحمى وهو المكان الذى تتحرك فى داخله البويضة المتحدة بالحيوان المنوى لتلتصق بالغشـاء الداخلى ، وقد وصف الله هذه المرحلة بقوله : **«ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين »** .

وعند اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة تتحدد أوصاف وملامح وشخصية الجنين ؛ لأن كلا من الحيوان المنوى والبويضة يحمل ما يعرف بالجينات وهى العوامل المحددة لكل ما يمكن أن يورث من الأب أو الأم وجينـــات الأب مختلفة عن جينات الأم ، وهـــذا تفســـير قول الله سبحانه وتعالى : **« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه »** .

وفى المرحلة التى يتم فيها الالتصاق بالغشـــاء الداخلى للرحم تكون البويضة المتحدة بالحيوان المنوى قد أصبحت نتيجة للنمو والانقسام عبارة عن مجموعة من الخلايا على شكل كروى ، وتسمى فى علم الأجنة « الموريلا » وهى التى تنتقل من القناة الرحمية الى التجويف الرحمى حيث تلتصق بالغشاء المخاطى المبطن للرحم ، ونتيجة لهذا الالتصاق تحدث تغيرات متتابعة ، فيصبح الغشاء المخاطى سميكا ومحتقنا ، أما « الموريلا » فان الخلايا التى تلامس الغشاء المخاطى تنشط وتزداد فى الحجم وتتكاثر وتعمل على أن تفتت جدار الرحم الداخلى ولاسيما الأوعية الدموية ، وينتج عن هذا أن يتدفق الدم من هذه الأوعية الى داخل خلايا الجنين حيث تتكون به فجوات دموية بين الخلايا ، ويصبح أشبه ما يكون فى هذه المرحلة بالدم الجامد ، وقد وصف الله ســـبحانه وتعالى هذه المرحلة بقوله تعالى : **« ثم خلقنا النطفة علقة »** .

ونتيجة لتكاثر الخلايا يزداد الجنين حجما حتى يصبح قدر ما يمضغ فى الفم فى الشهر الثالث ، وقد وصف الله المضغة بأنها تكون مخلقة أو غير مخلقة وذلك فى قوله تعالى : **« ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة »** .

وكما سبق أن ذكرنا ، فان كلمة «مخلقة» تعنى تامة الخلق ، «وغير مخلقة» غير تامة ، ودراسة الأجنة أثبتت أنه فى هذه المرحلة ـــ أى فى الشهر الثالث لنمو الجنين ـــ تحدث التشوهات الخلقية نتيجة عـــدم اكتمال خلق أحد الأعضاء ، وهذا تفسير قول الله سبحانه وتعالى : **« مخلقة وغير مخلقة »** .

وفى المرحلة التى يكون فيها الجنين قدر ما يمضغ فى الفم – أى ما يمكن أن يوصف بالمضغة – تظهر مراكز النمو العظمى فى نهاية الشهر الثانى وبعد ذلك تتكون العضلات ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة الثابتة فى علم الأجنة بقوله :

« فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » .

* * *

ثانيا – يقول الله تعالى :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (الأعراف : ١٧٢) .

ويقول تعالى :

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » (الطارق : ٥ – ٧) .

الترائب : عظام الصدر .

الصلب : عظم الظهر .

دراسة علم الأجنة تبين أن الخلايا التى تنشأ منها الخصية فى الذكر توجد خلف التجويف البطنى فى المنطقة بين العمود الفقرى والأضلاع السفلى ، وتكون هذه الخلايا على شكل كتلة تعرف باسم النتوء البولى التناسلى لأنه يتكون منها أنسجة الكلى وكذلك الخصية ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى أن الانسان يخلق من الماء – أى السائل المنوى – الذى تفرزه خلايا نشأت بين عظم الصدر وعظم الظهر .

* * *

ثالثا – يقول الله تعالى :

« انا خلقناهم من طين لازب » (الصافات : ١١) .

ويقول تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون »

(الحجر : ٢٦) .

لازب : شديد التماسك •

الصلصال : كل ما جف من طين فهو طين يابس يصلصل من يبسه •

حمـأ : الطين الأسود •

مسنون : سن الوجه ، صوره وصقله فالوجه مسنون •

جسم الانسان يتكون من ماء ـ الذى يمثل سبعون فى المـائة من الوزن ـ متحدا مع عناصر وهى : الكربون والهيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والكبريت والحديد والمنجنيز والزنك ، وهذا الاتحاد هو اتحاد شديد التماسك لأنه يتكون منه أنسجة الجسم على اختلاف نوعياتها ، فمنها النسيج العظمى ، والنسيج العضلى ، والنسيج العصبى ، وأنسجة الأحشاء المختلفة ، ومن الحقائق المذهلة التى اكتشفها حديثا علماء الكيمياء الحيـوية أن الصلصال هو المـادة الوحيدة التى يمكن أن يتحـد معهـا الثلاثة وعشرين حمضا أمينيا التى تكون جسم الانسان •

ويعتبر عنصر الكربون هو من أهم مكونات خلايا الجسم ، فان المواد العضوية سواء أكان دهنيات أو كاربوهيدرات أو بروتينات تتكون أساسا من عنصر الكربون متحدا مع الهيدروجين والأوكسجين ، وفى حالة البروتينات يدخل النيتروجين فى تكوين الأحماض الأمينية وكذلك الكبريت فى بعض الأحماض والتى هى أساس تكوين البروتين ، وعلى هذا فان عنصر الكربون هو أهم عنصر فى الخلق وتكوين الجسم ، وهذا يفسر قول الله سبحانه وتعالى :

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون »
(الروم : ٢٠) •

الكربون هو من مكونات التراب ، وهو أيضا أهم مكونات خلية الجسم كما أثبت ذلك علم الكيمياء الحيوية ، والتراب حين يمزج بالمـاء يصبح الطين ، ولمـا كان المـاء هو اتحاد ذرة أوكسجين مع ذرتين هيدروجين فان المكونات الأساسية للطين هى الكربون والأوكسـجين

والهيدروجين مختلطا بعناصر أخرى مثل النيتروجين ، وهذه هي نفسها المكونات الأساسية لجسم الانسان .

* * *

رابعا — يقول الله تعالى :

« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » (الأحزاب : ٤) .

ونحن نقف لنتدبر ونفهم قول الله سبحانه وتعالى : **« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »** .

قد يفسر الكثيرون هذا القول تفسيرا معنويا ينعكس الى ما ورد بعد ذلك فى الآية الكريمة ، الا أن التفسير العلمى المادى أحق أن يذكر لأنه فى حد ذاته معجزة قرآنية ، فنحن نعلم من دراسة علم الأجنة أن التشوهات الخلقية تشمل الازدواج ، مثل ازدواج الأمعاء ، وكذلك التعدد مثل وجود كلية ثالثة — ازدواج الحالب — فص زائد بالكبد — الأصابع الزائدة باليد أو القدم ، الا أنه من الناحية العلمية والتشريحية لم يخلق الله بشرا له قلبين فى جوفه ، ويجب أن نسجل هنا أنه حين نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وارتفع صوت النبى يتلو قول الله سبحانه وتعالى :**« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »** ما كان أحد فى ذلك الوقت يتصور أنه بعد ما يزيد عن ألف عام سوف تتطور علوم البشر الى البحث فى مراحل خلق الجنين والى دراسة وتصنيف التشوهات الخلقية وأنه نتيجة لكل هذه البحوث المضنية سوف يجد الانسان أن القرآن الكريم ذكر التشوهات الخلقية فى قوله سبحانه وتعالى :

« ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة » (الحج : ٥) .

ثم ورد فى القرآن نص صريح ينفى نفيا قاطعا أن يكون الله سبحانه وتعالى قد خلق لرجل قلبين فى جوفه ، ويجىء علم الأجنة وبعد دراسة وفحص مئات الألوف بل الملايين من الأجنة ومن أجسام البشر

فلا يجد حالة واحدة يكون فيها أكثر من قلب فى جوف واحد ، بينما يسجل علم الأجنة أمثلة مذهلة من التشوهات الخلقية مثل وجود مبيض متحد مع خصية ، وكذلك وجود أكياس فى المبيض أو الخصية تحتوى على أسنان وشعر •

وعلى هذا •• يحق لنا أن نقول ان هذه الآية من سورة الأحزاب هى من اعجاز القرآن لأنها تتعرض لحقيقة علمية ثابتة فى علم من أدق ما وصل اليه العقل البشرى •

***

٢ ــ علم التشريح

يقول الله تعالى :

« أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه • بلى قادرين على أن نسوى بنانه » (القيامة : ٣ ، ٤) •

سوى الشىء : عدله وجعله لاعوج فيه •

البنان : الأصابع أو أطرافها •

وقد فهم الكثيرون من هذه الآية أن الله بذكره البنان يريدنا أن نتدبر قدرته سبحانه وتعالى فى خلق بصمة الأصابع بحيث تكون عاملا مميزا لأنها تختلف من انسان الى انسان ، الا أن المعنى أعمق من هذا بكثير ، لأنه ينبغى أن نتدبر فى بديع خلق الله لأصابع الانسان لأنه بهذا استطاع أن يمسك بالقلم ، وبهذا يبدأ طريق العلم والمعرفة والحضارة ، وكان أول ما نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام من القرآن قول الله سبحانه وتعالى : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان مالم يعلم »** (العلق : ١ ــ ٥) •

ولم يكن الانسان مستطيعا أن يمسك بالقلم الا أنه ليس فى أصابعه اعوجاج ، وبهذا نفهم قول الله : **« بلى قادرين على أن نسوى بنانه »** •

فمن الناحية التشريحية دراسة الاصابع تدل على أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ للانسان القدرة على استعمال مفاصل الأصابع وتحريكها بواسطة عضلات غاية في الدقة والقدرة على التحكم ، وبذلك أمكن للانسان أن يمسك بأدق الأدوات ، وأن يقوم بأداء وظائف متعددة بمهارة فائقة ، وهذا هو طريق الحضارة الانسانية لأنه في استطاعته ادارة وصنع أدق الأجهزة ، كذلك القيام بالأعمال التي تتطلب التدريب للوصول الى القدرة على الأداء مثل الجراحة والعزف الموسيقي والرسم •

وبهذا نفهم قول الله سبحانه وتعالى : **« بلى قادرين على أن نسوى بنانه »** أنه دلالة واضحة على أنه ان لم يكن الله قد خلق لنا الأصابع لا عوج فيها ما استطاع الانسان أن يصل الى ما وصل اليه من علم وتقدم ، وكذلك فقد خلق الله للانسان في بنانه شبكة دقيقة من الأعصاب الحسية التي تعطيه معلومات غاية في الدقة عن كل ما يلمسه من حرارة أو برودة ، خشونة أو نعومة ، جمودا أو ليونة ، استقامة أو انحناء ، ومنذ الطفولة يتدرب المخ على تلقى هذه المعلومات وتصنيفها وتخزينها وبمضى السنين تصبح حاسة اللمس أعظم ما أنعم الله على الانسان من حواس •

* * *

٣ ــ علم وظائف الأعضاء

أولا ــ يقول الله تعالى :

« وان لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » • (النحل : ٦٦)

فرث : تدور المادة على معنى التفتت ، والفرث هي الأشياء التي أكلها الحيوان وانهضمت في معدته بعض الانهضام •

هذه الآية أتت بحقائق طبية مذهلة ، فان الله يبين لنا أن اللبن الذي نحصل عليه من الأنعام مصدره ما في بطون ــ أي أمعاء ــ هذه

الحيوانات من الطعام الذى يتم هضمه تدريجيا ، وقد دل على ذلك بقوله سبحانه وتعالى : **« من بين فرث »** • ثم بعد ذلك أضاف : **« ودم »** أى أن هناك صلة بين الفرث والدم وأن هذه هى المراحل التى تؤدى فى النهاية الى أن يفرز ثدى الأنعام اللبن ، والصلة الوثيقة بين الفرث والدم هى أن الأمعاء يتم فيها الهضم ثم الامتصاص • الفرث هو الهضم والدم هو الامتصاص ، وان الاعجاز القرآنى المذهل هو أنه أوضح لنا أن ما يحمله الدم من بطون الأنعام هو سبب افراز اللبن من ثدى هذه الحيوانات ، وعلى هذا فان الدم يصل الى الثدى حاملا اليه ما تم هضمه من طعام فى الأمعاء •

وهذا دلالة واضحة على أن هناك دورة دموية أى أن الدم يصل من عضو الى عضو بالجسم ؛ والا كيف نفسر أن اللبن الذى يخرج من الثدى تكون من ما تم هضمه من طعام فى بطون الأنعام ، وقد احتاج العلماء الى ما يزيد عن ألف عام بعد نزول القرآن لكى يفهموا الدورة الدموية •

الحقيقة الثانية التى يجب أن نشير اليها ، أن الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نفهم قدرته وعظمة خلقه ورحمته بعباده ، فان ما يحمله الدم الى الثدى من الامتصاص المعوى للطعام حين يصل الى خلايا الثدى يتحول فيه بقدرة الله الى غذاء كامل يفى بحاجة الطفل من الغذاء ، مما يكفل له الحياة والنمو ، ولا شك أن ما يحدث فى خلايا الثدى هو عملية بيولوجية وكيميائية غاية فى التعقيد يقصر العقل البشرى عن فهم أسرارها ، وهذه العملية تكفل حفظ الجنس البشرى وصغار الثدييات •

الحقيقة الثالثة ، أن هذه الآية فى ايجاز معجز تضع أمامنا العمل المذهل الذى تقوم به الغدد فى الجسم ، فان كل غدة لها تخصص معين لافراز مادة يحتاج اليها الجسم فان الدم يحمل الى كل الغدد نفس المكونات الغذائية الناتجة عن هضم الطعام ، الا أن كل غدة تخرج افرازا خاصا بها فان خلية كل غدة قد أودع الله بها المقدرة على تكوين افراز معين يؤدى وظيفة هامة فى بقاء الحياة ، وان كانت خلايا الغدد تختلف

فى نوعية المـادة التى تفرزها ، الا أنها كلها تعمل بنفس النظام فان مكونات انتاجها تجىء من بين فرث ودم •

* * *

ثانيا ــ يقول الله تعـالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنـا معهم الكتـاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز » (الحديد : ٢٥) •

الحديد •• هو أحد أربعة معادن ورد ذكرها فى القرآن الكريـم والثلاثة الأخرى هى : الذهب والفضة والنحاس • ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى فى الآية السابقة قال عن الحديد **« وأنزلنا الحديد »** ، وانزال الحديد خلقه ، وهو المعدن الوحيد الذى سميت سورة باسمه فى المصحف ، وقد وصفه الله بصفتين : البأس هو القوة أو الشـدة ، والمنفعة : وهو الخير يصل الى المرء ، والجمع : منافع •

دراسة علم وظائف الأعضاء تدل على أن الحديـد يؤدى وظيفة حيوية غاية فى الأهمية فى جسم الانسان ، بل أنه لولا ما أودع الله فى الحديد من خواص لـما كانت هناك حياة على الاطلاق ، ذلك لأن الحديد هو أهم مكونات مركب الهيموجلوبين الموجود داخل كرة الدم الحمراء ، ويحتوى جزىء الهيموجلوبين على أربع وحدات ، وتوجد ذرة حديد بكل وحدة ، أى أن جزىء الهيموجلوبين يحتوى على أربع ذرات حديد ، وأهم وظيفة للهيموجلوبين هو قدرته على الاتحاد مع الأكسجين عند مرور الدم داخل الشعيرات فى جدار حويصلات الرئة حيث يوجد الأوكسجين بضغط مرتفع عما هو موجود فى الدم ، وباتحـاد الأوكسـجين مع الهيموجلوبين يتكون مركب يسمى « الأوكسهيموجلوبين » وفيه يحدث اتحاد بين ذرتين من الأوكسجين مع كل ذرة حديد ، وهـذا الاتحـاد هو شىء فريد فى نوعه وليس له نظير فى علم الكيمياء ، فانه دائما حين يتحد عنصر مع الأوكسجين يتكون أوكسـيد العنصر وهو مركب كيميائى له صفاته المميزة ، الا أنه فى حالة اتحاد الأوكسـجين مع ذرة الحديد الموجودة فى الهيموجلوبين داخل كرة الدم الحمراء نجد أن

اتحاد ذرتين من الأوكسجين مع ذرة حديد لا ينتج عنه تكوين مركب جديد ، بل كل ما يحدث أن ذرة الحديد داخل الهيموجلوبين تحمل ذرتين من الأوكسجين دون أن يحدث فيها أى تغير كيميائى ، بينما التفاعل الكيميائى فى المعمل بين الأوكسجين والحديد ينتج عنه أوكسيد الحديد ، وفيه تتحد ثلاث ذرات من الحديد مع أربع ذرات من الأوكسجين تحت تأثير الحرارة العالية وبهذا يتميز اتحاد الأوكسجين بذرة الحديد داخل الهيموجلوبين فى كرات الدم التى توجد فى الشعيرات التى تمر بجدار الحويصلات الرئوية بالصفات الآتية :

(أ) يتم الاتحاد فى حرارة الجسم أى ٣٧ درجة مئوية .

(ب) يتحد ذرتان من الأوكسجين مع ذرة حديد ، بينما فى المعمل تتحد أربع ذرات أوكسجين مع ثلاث ذرات من الحديد ، وعلى هذا فان اتحاد الأوكسجين مع الحديد داخل هيموجلوبين الدم يكون فيه الحديد المميز بقدرة اتحادية أكثر قوة مما فى المعمل ، فبهذا يستطيع أن يتحد مع عدد من ذرات الأوكسجين أكثر من العدد الذى يتحد به الحديد مع الأوكسجين فى المعمل . اتحاد الأوكسجين بالحديد فى الهيموجلوبين لا ينتج عنه تكوين أوكسيد الحديد ولا تغيير كيميائى فى الحديد ، وكل ما يحدث هو أن الحديد يحمل الأوكسجين حتى اذا وصل الدم الى الأنسجة فان الأوكسجين ينتقل من الدم الى الأنسجة بكل يسر ، حيث انه لم يحدث اتحاد كيميائى بينه وبين الحديد،وبهذا تحصل خلايا الجسم على ما تحتاجه من أوكسجين وهذا ما يعرف بالتنفس الخلوى. . واذا لم تحصل أى خلية على الأوكسجين فان الخلية تموت ، وعلى هذا فان الحديد فى جسم الانسان قد أودع الله به بأس شديد فهو ذو قوة اتحادية عالية مع الأوكسجين وأيضا ذو منفعة حيوية ، وأنه بدون الحديد لا تحصل خلايا الجسم على الأوكسجين ، وعلى ذلك يمكن أن نقول انه بدون الحديد لا توجد حياة .

* * *

ثالثا — يقول الله تعالى :

« والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين . لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » (التين : ١ — ٤) .

تقويم : أى فى حالة هى أحسن حالات التعديل والتهذيب ، فقد خصه الله تعالى بانتصاب القامة ومتانة الأعصاب وجودة التفكير وحسن البيان وقوة الارادة •

قال ابن عباس فى معنى التين والزيتون « هو تينكم الذى تأكلون ، وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت » • قال تعالى :

« وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين »
(المؤمنون : ٢٠)

الصبغ : ما يصبغ به ويغمس به ويغمس فيه من صبغ اللقمة أى دهنها وغمسها •

« وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن » : هى شجرة الزيتون والدهن زيتها •

ويرجح القرطبى أنهما التين والزيتون على الحقيقة وقال : « لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا بدليل » •

ويروى عن أبى ذر أنه أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم سل من تين فقال « كلوا » ، وأكل منه ، ثم قال : « لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم » — أى بلا نوى — •

وهنا نجد أن السؤال الذى يطرح نفسه هو : ما هى العلاقة بين الثمرتين (التين والزيتون) وبين طور سينين ، وهذا البلد الأمين ؟

والاجابة على هذا السؤال هى كما يلى :

١ — التين يحتوى على كمية عالية من السكريات والماء والفيتامينات، وكمية ضئيلة من البروتينات والأملاح ، أما الزيتون فيحتوى على كمية عالية من الدهنيات والبروتينات والأملاح ، وعلى هذا فان التين والزيتون معا يحتويان على كل ما يحتاجه الانسان من غذاء لجسده فهما يحتويان على سكريات وبروتينات ودهنيات وفيتامينات وأملاح •

٢ ــ فى طور ســيناء نزل من عند الله كتاب التوراة على النبى موسى عليــه السلام ، والتوراة كتاب عقيدة وشريعة • وفى البلد الأمين أنزل الله القرآن على النبى عليــه الصلاة والسلام مهيمنا على التوراة •

٣ ــ وعلى هــذا فان تفسير سورة التين : هو أن الله ســبحانه وتعالى ذكر التين والزيتون كثمرتين مجتمعتين على أنهما يحتويان على كل ما يحتاجه جسم الانسان من غذاء ، ثم ذكر طور ســيناء والبلد الأمين على أنهما المكانان اللذان نزل فيهما التوراة والقرآن ويحتويان على الشريعة والعقيدة والأحكام والقوانين ، وهــذا هو غذاء الروح لأنه المنهج الالهى •

والآية التاليــة هى : **((لقد خلقنا الانســان فى أحسن تقويم))** واذا أردنا أن نفسر هــذه الآية على ضوء ما سبق ذكره ، فان الواضح أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان فى أحسن تقويم بأنه أنعم عليــه بالثمرات التى تغذى جسمه الغذاء الكامل ، كما أنه أنزل عليه غــذاء روحه فى كتبه السماوية •• وبهذا يكون الانســان فى أحسن تقويــم معنويا وماديا •

ويجب أن نســجل أن ما يحتويه التين والزيتون من غذاء ، هو ما يتفق عليــه علماء وظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية على أنه الغذاء الكامل الذى يوفر كل احتياجات الجسم من سعرات حرارية ومن أحماض أمينية أساسية ومن مواد دهنية وســكرية وزلالية ، وكذلك الأملاح والفيتامينات •

والاعجاز القرآنى هو أنه فى سورة التين ورد ذكر ثمرتين يكونان غذاء كاملا ولا يستطيع أى عالم أو مفكر أن يجد ثمرتين بديلتين عن التين والزيتون ولهما نفس القيمة الغذائية المثالية ويوفران كافة احتياجات الجسم ، بحيث يمكن الاعتماد عليهما اعتمادا كاملا دون أن يحدث أى اختلال فى الجسم ناتج عن نقص فى مادة غذائية معينة ، هذا بالاضافة الى أن طعم التين وطعم الزيتون كلا منهما دائمــا مستساغ ومحبب للنفس •

وسورة التين هى اعجاز قرآنى مذهل وقد جاء فيها من الدلالات الطبية التى تبين من احتياجات الجسم من الغذاء ما لم يصل اليه العلماء الا بعد سنين طويلة من البحث والدراسة •

* * *

٤ ــ علم الاقرباذين

يقول الله تعالى :

« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (النحل : ٦٨ ، ٦٩) •

يحتوى عسل النحل على نسبة عالية من الجلوكوز والفركتوز ، وعلى أنزيمات وأملاح وهى البوتاسيوم والصوديوم والحديد والفوسفات والمغنسيوم والكالسيوم ، وكذلك يحتوى على الفيتامينات الآتية : فيتامين أ ــ ب١ ــ ب٢ ــ ب٦ ــ ج ــ ك •

والقيمة العلاجية لعسل النحل ترجع الى عاملين :

أولا ــ وجود الفيتامينات بنسبة عالية وبفاعلية كبيرة •

ثانيا ــ الفركتوز والجلوكوز وكلاهما من أحادى السكريات ــ الفركتوز يستخدم طبيا فى الأحوال الآتية :

١ ــ فى حالة الفشل الكلوى يصبح الجسم غير قادر على الانتفاع بالجلوكوز ، وبذلك يصبح غير ذى فائدة للمريض ، بينما أن الفركتوز يمكن أن يستخدم فى تغذية المريض فى حالة الفشل الكلوى بينما لا يستطيع الجلوكوز أن يكون أحد مكونات التمثيل الغذائى للجسم ، لأن الخلايا تفقد قدرتها على التفاعل معه وادخاله فى عمليات الاحتراق اللازمة لتوليد الطاقة والحرارة ، ولكن الفركتوز يظل محتفظا بقدرته على التفاعل مع الخلايا والاحتراق ولذلك فان مريض الفشل الكلوى لا يمكن أن تكون تغذيته على الجلوكوز بل لابد أن يستخدم الفركتوز •

٢ — فى حالة التسمم الكحولى يعطى المريض الفركتوز بكميات كافية لمقاومة آثار التسمم •

٣ — فى حالة نقص السكر فى الأطفال الحديثى الولادة نتيجة لاصابة الأم بمرض السكر ، يجب أن يعطى الطفل الفركتوز بكمية كافية لانقاذ حياته •

أما عن الجلوكوز وهو من أحادى السكريات الموجودة فى العسل فانه من المرجح أن تفسير ما ورد فى الآية الكريمة : **((فيه شفاء للناس))** • يرجع الى القيمة العلاجية البالغة الأهمية للجلوكوز ، ذلك لأنه لو لم يتم استخدام الجلوكوز فى المحاليل الوريدية لما أمكن تغذية المرضى الذين لا يستطيعون تناول احتياجاتهم من السوائل والأملاح والسعرات الحرارية عن طريق التغذية بالفم مثل ما يحدث بعد العمليات الجراحية بالبطن ، ذلك لأنه فى هذه الحالات يجب أن يعطى المريض احتياجاته من السوائل والأملاح والسعرات الحرارية عن طريق المحاليل الوريدية ، وأقل كمية يجب اعطاؤها من الجلوكوز هى مائة وعشرين جراما والا تعرض المريض الى ظهور أعراض نقص الكربوهيدرات بالجسم مما يؤدى الى وجود مادة الأسيتون بالبول ؛ وهذا نذير برفع درجة حموضة الدم ، وما لم يتم تدارك الموقف باعطاء المريض جلوكوز بكمية كافية تحدث الوفاة نتيجة سكتة قلبية وذلك بسبب ارتفاع الحموضة بالدم •

وعلى هذا •• فانه فى حالات القىء الشديد والاسهال والعمليات الجراحية بالبطن فان التغذية الوريدية باعطاء كافة الاحتياجات هى السبيل الوحيد لانقاذ حياة المريض وأهم مكونات التغذية الوريدية هو الجلوكوز ، ويعطى بتركيز محلول ٥٪ ، وهذا المحلول علاوة على أنه يحتوى على الجلوكوز الا أنه أيضا يكفل اعطاء الجسم كمية الماء اللازمة ، وكذلك توجد محاليل الجلوكوز ذات التركيز العالى •

وبذلك يمكن أن نقول ان محلول الجلوكوز يحمل الشفاء لمرضى يعانون من أمراض وأزمات صحية غاية فى الخطورة •

***

الفصل الرابع

القرآن الكريم .. والأمراض

١ ـ السرطان

أولا : المسلم دائما حريص على الوضوء والاغتسال حتى يستطيع أن يؤدى الصلاة وأن يقرأ فى المصحف ، على هذا فان جسمه دائما نظيف ، وسطح جلده لا تعلق به أتربة أو مواد كيميائية ، وهذا يعطى مناعة من الاصابة بسرطان الجلد اذ أن من أهم مسبباته: المواد البترولية والبتروكيمائيات ومركبات الزرنيخ ، وكذلك يمنع الاصابة بالسرطان التى تحدث من نفاذ مواد كيميائية من سطح الجلد الى داخل الجسم ، وهذه السرطانات تحدث فى البنكرياس والرئة والكلى والدم •

ثانيا : المسلم لا يصاب بمرض الزهرى ، وكذلك لا يحتسى الخمر وهذا يقلل جدا من احتمال الاصابة بسرطان الفم ـ اللسان ـ الحلق ـ البلعوم •

ثالثا : المسلم لا يقضى حاجته فى موارد المياه ولا المياه الراكدة ، وهذا يمنع من انتشار مرض البلهارسيا الذى يسبب حدوث سرطان المثانة • والاصابة بتليف الكبد نتيجة لعدوى البلهارسيا التى قد تؤدى الى حدوث ورم سرطانى بالكبد ، وقد زادت نسبة حدوث سرطانات الكبد فى الربع قرن الأخير • وقد تم تشخيص حالات عديدة منها فى المستشفيات المصرية ، ومن النادر أن يجدى فيها العلاج الجراحى الذى يشتمل على استئصال فص من الكبد ، وذلك فى حالة أن يكون الورم السرطانى بالكبد محصورا فى بؤرة محدودة •

والأكثر شيوعا أن يحدث سرطان الكبد بسبب تليف الكبد نتيجة ادمان الخمر على مدى أعوام طويلة ، وعلى هــذا فانه من الثابت علميا أن الامتناع عن شرب الخمر يحمى الكبد من التليف الذى يؤدى بنسبة عالية الى الاصابة بسرطان الكبد ، وذلك بالاضافة الى المضاعفات الخطيرة التى قد تنجم من تليف الكبد بما فى ذلك تضخم الطحال الذى يفترس كرات الدم الحمراء والبيضاء وصفائح الدم مما يسبب أنيميا شــديدة وقابلية للنزف ، وكذلك ينتج عن التليف انهيار وظائف الكبد واستسقاء وحدوث دوالى بالمرىء وقىء دموى وغيبوبة كبدية •

رابعا : الاصابة بسرطان الثدى ليست شائعة بين النســاء اللاتى يرضعن أولادهن فترة كافية ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« والوالدات يرضــعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضــاعة » (البقرة : ٢٣٣)

وعلى هــذا فان المرأة المسلمة التى ترضع طفلها لمدة عامين تحمى ثديها من الاصــابة بالسرطان ، علاوة على أنهــا تعطى طفلها حقه من الغذاء والرعاية •

خامسا : السيدات اللاتى ينحدرن من أمهات حدثت لهن اصابة بسرطان الثدى يحملن فى لبن الثدى جزئيات دقيقة تنتقل الى كل من ترضع من الثدى فتجعلها عرضة للاصابة بسرطان الثدى ؛ وفى الذكر فان هــذه الجزئيات تستقر فى السائل المنوى ، وقد حرم الله سبحانه وتعالى زواج الأخوات من الرضاعة وذلك حتى لا تتكون أسر تكون فيها احتمالات الاصابة بسرطان الثدى عالية جــدا كما يحدث فى قبائل « البارسى » بمدينة بومباى بالهنــد • حيث تمثل هــذه القبائل مجتمعا مغلقا اذ لا يتم الزواج الا بين أفراد القبيلة ، وليس هناك فى هــذا المجتمع ما يمنع زواج الأخوات من الرضاعة ، ونسبة الاصابة بسرطان الثــدى فى قبيلة « البارسى » عالية جــدا اذا قورنت بالاصابة بين المسلمات فى مدينة بومباى •

سادسا : التدخين من الأســباب الرئيسية المؤكدة لاحداث سرطان

الرئة الذى أخذت نسبة حدوثه تزداد مع ازدياد التدخين وانتشاره ولا سيما بين الشباب والمراهقين ، وسرطان الرئة من أشد أنواع السرطانات ضراوة وعادة لا يكتشف الا فى مرحلة متأخرة حيث يكون قد انتشر انتشارا واسعا بحيث تصبح أى وسيلة للعلاج سواء بالجراحة أو بالأشعة العميقة أو بالعلاج الكيميائى عقيمة ، وحتى فى الحالات التى يمكن تشخيصها فى المراحل الأولى للمرض فان فرص الشفاء تكاد تكون معدومة ، وذلك لطبيعة الأنسجة الرئوية التى تغذيها شبكة غنية من الأوعية الدموية والليمفاوية ، وعلى هذا فان سرطان الرئة الذى يكاد يكون وبائيا فى عالم المدخنين هو علامة مؤكدة أن التدخين يؤدى الى الهلاك ، وهو على هذا محرم على المسلم ، يقول الله سبحانه وتعالى : **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »**
(البقرة : ١٩٥)

وليس التأثير السرطانى للتدخين مقصورا على الرئة ، بل يمتد الى كل جزء من الجسم يصل اليه القطران الذى يحمله دخان السجائر والتبغ ، فهو على هذا يصيب الفم ــ اللسان ــ البلعوم ــ الحنجرة وكذلك البنكرياس الذى تصل اليه سموم التدخين عن طريق الدم .

سابعا : يقول الله تعالى :

« قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه »
(الممتحنة : ٤)

ويقول تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (الأحزاب : ٢١)

الثابت أن أول من اختتن هو سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وقد سن فى هذا أسوة حسنة ، وكذلك فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وعلى هذا فان الاختتان هو ما يتبعه كل المسلمين وفى هذا فائدة صحية بالغة الأهمية اذ أنه من الثابت علميا أن الاختتان يمنع حدوث ورم سرطانى بعضو الذكورة ، وذلك بسبب عدم تراكم أى

افرازات أو مواد من الممكن أن يحدث احتكاكها أوراما سرطانية ، وكذلك فان السيدات المسلمات ليس شائعا بينهن حدوث سرطان عنق الرحم بالمقـــارنة الى ما يحـــدث للنساء المتزوجات من رجال لم تجر لهم عمليـــة الختان ، وعلى ذلك فانه من الثابت علميا أن الاختتـــان يمنع الاصـــابة بالسرطان فى كل من الرجل والمرأة ، ففى الرجل لا يحدث سرطان عضو الذكورة ، وفى المرأة تنخفض جدا نسبة حدوث سرطان عنق الرحم .

ونحن المسلمين لنا فى سـيدنا ابراهيم عليـه السلام الأسـوة الحسنة ، ولنا فى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة .

***

٢ ـ أمراض القلب والأوعية الدموية

أولا : تحريم الخمر يحمى المسـلم من تأثير الخمر الضار على عضلة القلب ، حيث ان الخمر يزيد من افراز هرمون الكرتيزول مما يرفع ضغط الدم ويرهق عضلة القلب وعلى مدى السـنين قد يحدث هبوط بالقلب .

ثانيا : ارتفاع الكوليسترول بالدم قد يحدث نتيجة ادمان الخمر مما يسـاعد على تصلب الشرايين والاصابة بالذبحة الصدرية .

ثالثا : المسلم لا يصاب بمرض الزهرى الذى يحدث تمددا بجدار الشرايين ولا سـيما فى شريان الأورطى الصاعد ، وهو حالة غاية فى الخطورة فقد ينفجر الشريان نتيجة ازدياد التمدد مما يؤدى الى حدوث نزيف مميت أو قد تحدث فى جدار الأورطى نتيجة للتمدد جلطة تنفصل منها جزئيات صغيرة تنتشر فى الشرايين المتفرعة من الأورطى مما قد ينتج عنه شلل نصفى أو غرغرينا بالأطراف .

رابعا : أداء الصـلاة فى أوقاتها يتيح للمسلم أن يقوم بمجهود منتظم تنشط فيه الدورة الدموية من طلوع الشمس الى صلاة العشاء ،

مما يعطيه وقاية من حدوث الذبحة الصدرية ، ذلك لأن التراخى والكسل وقلة الحركة يتلف عضلة القلب لأنه يرفع نسبة حدوث جلطة بالشريان التاجى مما يؤدى الى الذبحة الصدرية .

خامسا : الجلوس لتلاوة التشهد يكون فيه المسلم فى وضع تكون فيه الركبتين فى ثنى تام والفخذ ضاغط على الساق ، مما يؤدى الى أن يندفع الدم من الأوردة السطحية الى الأوردة العميقة ، وفى السجود ينساب الدم فى يسر فى أوردة الساق ، وكل هذا من شأنه أن يمنع حدوث جلطة بأوردة الساق والفخذ ، وهى حالة غاية فى الخطورة لأنه اذا انفصلت الجلطة من وريد الساق فانها تندفع حتى تصل الى البطين الأيمن ، ومن هناك تحدث انسدادا بالشريان الرئوى مما ينتج عنه الوفاة فى معظم الحالات . ومن الثابت أن هذه الحالة نادرة جدا بين المسلمين .

سادسا : الامتناع عن التدخين يحفظ القلب والشرايين ، ذلك لأنه قد ثبت أن من أهم أسباب حدوث تقلص أو تصلب بالشرايين التاجية وتلف عضلة القلب هو التدخين ، ذلك لأنه يحدث تقلصا بالشريان التاجى وبمضى الوقت يصبح جدار الشريان سميكا من حدوث ترسيب للدهنيات، ويؤدى ذلك الى عدم كفاءة تغذية عضلة القلب بالدم وهو أساس حدوث الذبحة الصدرية . ولا شك أن الامتناع عن التدخين هو ما يجب أن يكون عليه المسلم امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (البقرة : ١٩٥)

والتدخين له أثر ضار بالشرايين فى القدم ، ويحدث الافراط فى التدخين انسدادا بالشرايين الصغيرة التى تغذى أصابع القدم مما يؤدى الى حدوث غرغرينا بالأصابع قد تمتد الى القدم وهذا المرض يدعى مرض (بيرجير) ولا يعرف له أى مسبب الا الافراط فى التدخين ، ويصيب هذا المرض الذكور فى سن العشرين وينتج عنه أعراض غاية فى الخطورة ويؤدى فى النهاية الى بتر الساق .

سابعا : يقول الله تعالى :

« يابنى آدم خـذوا زينتكم عنـد كل مسـجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (الأعراف : ٣١)

هذه الآية اعجاز قرآنى ، وذلك لأن العلماء لم يفهموا الا منـذ عهد قريب خطورة الاسراف فى الطعام والشراب ، ذلك لأن زيادة الوزن والترهل يصاحبهما فى كثير من الأحيان الاصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم ، وزيادة التعرض للاصابة بتصلب الشرايين وما ينتج عنـه من حدوث جلطة بالشريان التاجى ، والاصابة بالذبحة الصدرية أو جلطة أو نزيف بالمخ . أو انسداد شرايين السـاق وحدوث غرغرينا أو تلف بجدار الشرايين ولا سيما الأورطى البطنى ، مما ينتج عنه تمدد بالشريان ينتهى ما لم يسـتبدل الشريان بآخر من مادة الدكرون الى حـدوث نزيف قاتل .

وقد أثبتت الاحصائيات أن زيادة الوزن يصحبها زيادة نسـبة الوفيات . نتيجة الأزمات الصحية الخطيرة التى تحدث بسبب الترهل وارتفاع الدهنيات بالدم ، وليس هنـاك من علاج الا اتباع آمر الله : **« وكلوا واشربـوا ولا تسرفـوا »** ، فان علاج السـمنة لا يكـون الا بالاعتدال فى المأكل والمشرب ، وكل المحاولات للعلاج بالأدوية قد ثبت فشلها ، بل أيضا وخطورتها البالغة على حياة المرضى .



٣ ــ أمراض الجهاز الهضمى

أولا : المضمضة والسواك هما من أعظم ما علمنا الرسول عليـه الصلاة والسلام . ولا شك أن المسلم الذى يلتزم بنهج الرسول عليـه الصلاة والسلام فيتوخى دائمـا نظافة فمه وأسنانه يحمى جسمه من تأثير البؤر المتعفنة التى توجد فى جذور الأسنان ، والتى قد تؤدى

الجسم أذى بالغـــا بوجود الميكروبات العنقودية والفطريات بهـــا ، وكلهـــا قادرة على احداث ســـميات تضعف الجســـم وتصيب المفاصل أو صمامات القلب •

ثانيا : المسلم لا يقضى حاجته فى موارد المياه أو المياه الراكدة،وعلى هـــذا فان المجتمع الاسلامى الملتزم لا تنتشر فيه البلهارسيا بتأثيرها المدمر على الكبـــد بما تحدثه من تليف وتضـــخم فى الطحال ، وكذلك الكوليرا والتهاب الكبد الوبائى •

ثالثا : المسلم يجتنب الخمر اجتنابا تاما ، وعلى هـــذا فانه لا يصاب بما يصيب مدمن الخمر من التهاب كبدى وتليف كبدى يؤدى الى زيادة ضغط الدم بالوريد البابى ، وتكون النهاية المفجعة لكل هـــذا هو قئ دموى قاتل وغيبوبة كبدية • وكذلك لا يصاب بالتهاب البنكرياس الذى يؤدى الى اتلاف أنسجة البنكرياس مما يفقد المريض القدرة على هضم وامتصاص الطعام من الأمعاء ، فتتدهور الحالة الصحية بتأثير الهزال وســـوء التغذية •

رابعا : المسلم لا يشرب الدم المسفوح الذى حين يصل الى الأمعاء تتحول الزلاليات الموجودة به الى أمونيا ، وهى سبب حدوث الغيبوبة الكبدية فى حالة هبوط وظائف الكبد وعـــدم استطاعته تحويل الأمونيا الى بولينا كذلك يمكن أن يحمل الدم المسفوح فيروسات التهاب الكبـــد الوبائى وبهذا تنتقل العدوى الى من يشرب الدم الملوث بالوباء •

خامسا : المســـلم لا يأكل الميتة ، وهو لحم محتقن بالدم داخل العروق ، ويحدث نفس الآثار الضـــارة التى تحدث من شرب الـــدم المســـفوح •

سادسا : المســـلم لا يسمح للكلاب بالاقتراب منه ، وبهذا يحمى نفسه من الاصابة بما تسببه الدودة الشريطية للكلاب من مرض الأكياس الهيداتية التى تصيب على وجه الخصوص الكبـــد فتحـــدث داخله أكياس تضغط على الخلايا الكبدية ، وينتج عنها أعراض خطيرة ولا شفاء الا بالتدخل الجراحى •

سابعا : المســلم لا يشرب الخمر ولا يدخن ، والخمر والتدخين هما من أهم أسباب حدوث سرطان الفم واللسان والبلعوم ، وكذلك فان مريض قرحة المعدة والاثنى عشر لا يمكن شــفاؤه الا بالامتناع عن التدخين والخمر لـما لهما من آثار كاوية بالغشــاء المخاطى للمعــدة والاثنى عشر .



الفصل الخامس

القرآن .. شفاء النفوس

الناس فى الحيـاة صنفان ، صنف يعيش والدنيـا كل همه ليس أمامه من حياة الا ما يعيشه على الأرض ، وبعدها فناء لا بعث ولا حياة أخرى ، فهو لا يريد الا حرث الدنيا • الحب الذى يعيش من أجله هو حب الشهوات ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المـآب » (آل عمران : ١٤)

فهو ليس له الا الساعة التى يعيشها • الدنيا ما هى الا غاية كبيرة يفتك القوى فيهـا بالضيف ويبطش الغنى فيها بالفقير • كل ما يستطيع أن يضع يده عليـه فهو يستحله لنفسه ، لا ضوابط ولا حدود ، انما هى حياة كحياة البهائم •

فى مثل هـذه المجتمعات يتفشى الزنا والخمر والمخدرات ، وتكون الجـريمة والعنف والاغتصاب ، وحصيلة كل هـذا القلق والحـيرة والاضطراب العقلى ، لأنه فى غيبة من الايمان بوجود الله عادل رحيم والايمان بالبعث والحساب،فان الانسان يصبح أمره فرطا حيث يفقد أغلى ما فى الحياة وهو صفاء النفس •

أما الصنف الثانى من الناس ، فهو يؤمن بأن الحياة الدنيا هى معبر لحياة خالدة يعيش فيها المؤمن خالدا فى جنة النعيم ، فانه خلق ليكون خليفة الله فى الأرض • والله هو الذى لا اله الا هو خالق الكون وخالق

الحياة ليس كمثله شيء . خلق الانس والجن ليعبدوه . وأنزل القرآن على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — تبيانا لكل شيء . وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . والقرآن هو الشفاء والرحمة . يقول الله تعالى :

« وننزل من القــرآن ما هو شــفاء ورحمــة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خســارا » (الاسراء : ٨٢)

القرآن هو الشـــفاء . لأنه هو المنهج الايمـــانى : والايمـــان هو الاطمئنان الى الله :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئـــك أصحاب الجنـــة » (هود : ٢٣)

ويقول الله تعالى :

« وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم » (الحج : ٥٤)

وأخبت يخبت : سار فى المكان الواسع المطمئن .

وأخبت لله أو الى الله : خســع واطمأن بايمانه فهو مخبت وهم مخبتون .

الايمان هو سكينة النفس وألفة القلوب :

« وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » (الأنفال : ٦٣)

المؤمن لا يخشى الا الله . وهذه الخشية وهـــذا الخوف همـــا السكينة والأمن له . لأنه يؤمن بأن الله حكم عدل لا يظلم أحدا . وأنـــه لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى . وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم. فالمؤمن لا يخشى مخلوقا انما يخشى الخالق ، وهو يؤمن بأن الله رحيم بعباده كتب على نفسه الرحمة . الحسنة عنده بعشر أمثالها والسيئة بمثلها . يغفر الذنوب كلها الا أن يشرك به . وتنزل السكينة فى نفسه حين يقرأ فى المصحف :

« وأن ليس للانسان الا ما سـعى • وان سـعيه سـوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى • وأن الى ربك المنتهى • وأنه هو أضحك وأبكى • وأنه هو أمات وأحيا • وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى • من نطفة اذا تمنى • وأنه عليه النشأة الأخرى » (النجم : ٣٩ ـ ٤٧) •

رسـالة الاسلام هى التوحيد والبعث والجزاء ، والمسلم يعلم أنه لم يخلق عبثا وأنه راجع الى ربه وذلك بنص الآية :

« أفحسـبتم أنما خلقناكم عبثـا وأنكم الينـا لا ترجعـون »
(المؤمـنون : ١١٥)

البناء النفسى للمسلم يبـدأ ببدء حياته التعبدية ، فهو من سن البلوغ مكلف بالصلاة ومكلف بالصيام ، فهو فى أول مراحل حياته يسجد لله ويعبده ، ويرسخ فى أعماق نفسه أنه فى هـذه الدنيا عبد لله ، وأن الله اله واحـد لا شريك له ، وأنه فرض عليـه أداء الصـلاة بقوله سبحانه وتعالى : **«وأقم الصلاة لذكرى»** (طه : ١٤) ، فهو على هـذا يتعلم كيف يتوضأ وكيف يكون طاهرا ، ثم هو يبدأ يومه بالصلاة ويحرص على اقامة الصلاة بدخول وقتها ، وهـذا كله فى بدء مراحل الشباب كفيل بأن يرسخ فى نفسه قواعد ايمانية وسلوكية تنمو وتتوطد طول حياته ، فهو فى السن التى تتحرك فى أعماقه الرغبات الجنسية لأول مرة يجد الملجأ الذى يحميه من الانحراف وهو طهارة الوضوء وخشـوع الصلاة والالتزام بأداء الفرائض •

وان آفة المجتمعات فى البلاد الأوروبية والأمريكية هو سـلوك المراهقين ، ففى سن البلوغ نجد أن الانحراف عندهم يستفحل أمره لعدم وجود وازع دينى ، وذلك بشيوع الزنا واللواط والخمر والمخـدرات والجريمة ، وكل هـذا فى النفوس هو حالة من الاحباط والرفض والتمرد والقلق ، ويظل مترسبا فى الأعماق طول الحياة مما يؤدى الى انتشـار الجريمة والى الاضطرابات العقلية والاحساس بضياع قيم الحيـاة

ومعانيها ، مما قد يؤدى الى الانتحار أو الاندفاع فى الادمان على الخمر والمخدرات •

واذا أردنا أن نفهم أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ، ما علينا الا أن نقارن حال المراهقين فى المجتمع الاسلامى . على ما هم عليه من طهر والتزام بأداء الصلاة والصيام ، وكذلك بالسلوك الاسلامي ؛ بما هو عليه حال المراهقين فى المجتمعات غير الاسلامية ، فيكاد يكون من المستحيل أن تجد مراهقا لم يمارس الزنا أو اللواط أو كلاهما معا ، أو تجد مراهقة لم تفقد عذريتها ولم تمارس الزنا أو تغتصب عنوة عدة مرات . وليس هناك مراهق أو مراهقة لم يحتس الخمر أو يتعاطى المخدرات ؛ ولنا بعد ذلك أن نسجد لله شكرا على نعمة الاسلام ؛ وأن نقول ان تربية المسلم من سن البلوغ بمنهج الله هو الركيزة الأولى ليكون — نفسيا وعقليا — فى منجاة مما يعترى النفس الانسانية من اضطراب واختلال فى مختلف مراحل العمر •

فالشاب المسلم يلتزم من بدء حياته باقامة الصلاة . فيتحرى دائما طهارة الجسم ، طهارة الثوب . طهارة المكان • يصوم رمضان • يقرأ المصحف • حياته كلها ايمان وروحانية • يحفظ بها فرجه من الزنا واللواط • يصل رحمه • يحسن الى والديه وأهله ، ويعد نفسه ليكون مسلما قويا فى أمة المسلمين يدافع عن الاسلام ، يرفع راية لا اله الا الله محمد رسول الله ويموت دونها •

والفتاة المسلمة تعد نفسها لكى تكون الزوجة والأم فى الأسرة المسلمة ، تصلى وتصوم وتلبس من الثياب ما يستر جسمها ، لا تسمح أن يختلى بها اجنبى ، لا تسمع ولا تقول الا ما يرضى الله ، لا يمس شعرة منها الا زوجها •

الأب المسلم هو رب لعائلة مسلمة مسئول عنها فى كل ما يمس حياتها ، فهو العائل للأسرة وهو المربى لها ، عليه دائما أن يراقب سلوك كل فرد فيها ، فهو يأمر أولاده وبناته بالصلاة والصيام ما داموا قد وصلوا الى سن البلوغ ، وهو يضربهم اذا لم يؤدوا الفريضة ، وهو

القدوة الحسنة يؤمهم فى الصلاة ويأخذهم معه الى صـــلاة الجمعـــة • يقرأ معهم فى المصحف • يقص عليهم الســـيرة النبوية ويثقفهم فى أمور الدين والفقه والشريعة •

عليه أيضا أن يهب لمقاومة كل بادرة انحراف ، وأن يكون فى هـــذا عنيفا وقاسيا حتى لا يستفحل الداء ، ويعلم دائمـــا أن عليه رسالة يجب أن يؤديها ، وفى معاملته لأولاده ينبغى أن يتوخى العدل والمساواة وأن يكبح جماح شهوة نفسه من الرغبة فى ايثار أحد الأولاد على اخوتـــه ، لأنه بهذا يبذر بذور الفتنة والشقاق وهذا كله سوف يمتد حتى بعد مماته وسوف يمزق روابط الأخوة ويورث العداوة والبغضاء مما يقطع صلة الرحم ، وهو بهذا يرتكب اثما كبيرا اذا حاول أن يتلاعب بما فرضه الله من حقوق ثابتة فى الميراث ، وليذكر دائمـــا قصة سيدنا يوسف ــ وهى سورة كاملة فى المصحف ــ وهـــذا هو الهدى القرآنى ينير لنا طريق الحيـــاة ويضع لنا الأسس القويمة التى يجب أن يكون عليها سلوك المســـلم •

وعلى رب الأسرة أن يتحرى أن يكون رزقه حلالا ، لأن كل ما يطعم ويكسى به أولاده لابد أن يكون من مال يرضى عنه الله ، لأن كل لحم نبت من الحـــرام فالنار أولى به ، وعليـــه أن يكون فى ماله حق معلوم للســـائل والمحروم •

ولعل من أبلغ ما يمكن أن يعلمه أب لأولاده أن يتلوا عليهم قول لقمـــان لابنه وهو يعظه ، وذلك فى الآيات التاليـــة من سورة لقمان :

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم • ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون • يابنى أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى الســـموات أو فى الأرض يأت بهـــا الله ، ان الله لطيف خبير • يابنى أقم الصـــلاة وأمر

بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور • ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور • واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » (لقمان : ١٣ — ١٩)

وتدبر هــذه الآيات يضع أمام الأسرة المســلمة أسسا عقائدية تشفى النفوس وتحميها من الاضطراب والتمزق وهذه الأسس هى :

أولا — بر الأبناء بوالديهم ، وهــذا يجعل الأسرة المسلمة متماسكة قوية ، ويضع الالتزام على الانسان أنه مسئول عن والديه وفاء لهــم عليــه من حقوق ، وقد أوضــح الله هــذا فى سورة الاسراء بقوله :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احســانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهمــا قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمــة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (الاسراء : ٢٣ ، ٢٤)

ثانيا — لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فليس للمسلم أن يطيع والديه فى أن يشرك بالله ، وهــذا المبدأ القويم هو ما يجعل المسلم يقف كالطود الشامخ طول حياته لا يطيع حاكما أو رئيسا أو جبارا فى أمر لا يرضى الله • وهذه أمور عقائدية لا تقبل المساومة ولا المهادنة ، بــل أن وقفة المسلم لكى ينفذ حكم الله فى كل ما تتعرض له أمة المســلمين هو ما ينزل الســكينة فى نفسه ويذهب عنها القلق والحيرة ، لأنه أهون عليــه أن يستشهد من أن يرضى بضياع الاسلام •

ثالثا — يأمر الله أن تقام الصلاة وهى الركيزة الأولى فى بنــاء المسلم ، فهى أول ما يؤديه من الفروض ، وطول حياته شغله الشاغل أن يؤديها فى أوقاتها ، طاهر الجسم،طاهر الثوب،طاهر المكان ، وهى اللحظة التى تخشع فيها النفس وتسكن فيها الشهوات بسماع الآذان:«اللهأكبر •• الله أكبر » فيتدبر فيها المسلم أمره فى اللحظة التى يعيشها ، فانه ان كانت نفسه قد حدثته بمعصية أو خطيئة فان الله لن يعذبه بها اذا رجع عنها ، وطريق الخلاص مفتوح أمامه ، والصلاة على خمسة أوقات تلاحق

المسلم منــذ أن يستيقظ الى أن ينام ، فهى وسيلة متجددة لكى يكون دائما على صراط مستقيم ، والصلاة هى الوسيلة لذكر الله وذلك بقوله سبحانه وتعــالى :

« اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبــدنى وأقم الصــلاة لذكرى »
(طــه : ١٤)

وذكر الله هو السبيل لكى يطمئن القلب ٠ قال الله سبحانه وتعالى :

« الذين آمنــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب »
(الرعد : ٢٨)

الصلاة هى سكينة النفس وطمأنينة القلب ، فهى بهذا حصن يحمى المسلم من القلق ومن الحيرة ومن الاحباط ، وكل هذه تؤدى الى اضطراب العقل وفساد الفكر ٠

لا تجد مسلما يؤدى الصلاة فى أوقاتها بخشوع وضراعة الا وفى نفسه سكينة وفى قلبة طمأنينة ٠ ذلك لأنه أقرب ما يكون لربه وهو ساجد، فيتوجه اليه بالدعاء والضراعة يطلب منه الهدى ويستغيث برحمته ، فيفرغ من الصلاة وكله ثقة بأن الله لن يضيعه ، وأنه كلما اجتهد فى الطاعة والعبادة فان أجره على الله ، وأنه اذ يستعين ويعتز بايمانه به فهو أقوى من كل قوى وأغنى من كل غنى ، لا يخشى مخلوقا ، الخير كله بيد الله ، وهو مالك الملك سبحانه وتعالى ٠

الصلاة كلها خير للمسلم ، فهي على المؤمنين كتاب موقوت ، والذى يترك صلاة دخل وقتها ولم يؤديها لا يستطيع أن يعوض ما فاته الى يوم القيامة ٠

المؤمن يهب من فراشــه فى الفجر حين يســمع صــوت المؤذن يقول « الله أكبر ٠٠٠ الصلاة خير من النوم » فهو بهذا يبدأ يومه بذكر الله فيطمئن قلبه وتهدأ جوارحه ، يسعى للخير ، ويتجنب الزلل ، يحاسب نفسه فى كل ما يعمل وكل ما يفكر ٠

الصلاة فيض من الرحمة ، ففى صلاة النوافل ملاذ المؤمن ، وجنة العابد ، فاذا جفت الأرض وقل المــاء وقف المسلمون صفوفا يصلون

صلاة الاستسقاء ودائما يستجيب الله لدعاء عباده فيهطل عليهم المطر رحمة من الله،وقد حدثنى أحد الأخوة السعوديين أنه لم يحدث فى المملكة السعودية أن حل الجفاف وقام المسلمون يصلون صلاة الاستسقاء الا ونزل عليهم المطر فتطمئن القلوب وتخشع النفوس ويزداد المؤمن ايمانا •

واذا حل بالمسلم كرب وشدة فانه يهرع الى الصلاة ، فيصلى صلاة قضاء الحاجة يدعو بعدها الله متضرعا أن يعينه وأن يهديه ، كذلك يصلى صلاة الاستغاثة لأنه يعلم أن الله غالب على أمره وأنه قاهر فوق عباده ، ذلك •• فان المسلم فى الكرب الشديد والخطر المحدق لا يهدأ روعه الا بأن يصلى فيركع ويسجد وهو يدعو : يا حى ياقيوم برحمتك أستغيث •

فى هذا كله نرى شأن المسلم الذى يصلى فيخشع فى صلاته ، ويتوجه الى الله بالدعاء والضراعة ، فيجد أن اعز ما فى حياته وأغلى ما فى عمره هى اللحظات التى يقف فيها بين يدى الله ، فهذا هو ملاذه وعياذه وثقته ورجاؤه ، وهذا هو جاهه وغنى نفسه وعزته •

بيوت الله هى أحب مكان لقلبه ، فهى الأمن والنور والطهر ، يسبح فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة • يقفون صفوفا متراصة كلهم بين يدى الله سواء ، فى لحظـة يختفى فيها متاع الدنيا من مال وجاه ولا يبقى الا اليقين بأننا جميعا عبيد الله ، أكرمنا عند الله أتقانا ، وأننا هكذا سنقف بين يدى الله يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، بهذا كله ندرك فضل المسجد وحكمة صلاة الجمعة فان المسلم فى غمرة الحياة قد يدخل قلبه الشعور بالكبر وبالمتعة والزهو ، الا أن دخوله المسـجد وجلوسه على الأرض بجوار سائر المسلمين ثم وقوفه للصلاة خلف الامام سوف يعيده الى حقيقة أمره ، اننا جميعا من آدم وآدم من تراب • وأنه لا كهنوت فى الاسلام ، فان المسلم يتجه الى ربـه بقلبه ووجدانه ، يؤمن أن الله يعلم ما تخفى النفوس ، فليس بين العبـد وربه وسيط أو كاهن ، وليس فى الاسلام من يملك صكوك الغفـران وتصاريح دخول الجنة ، فقد قال الله سبحانه وتعالى :

« من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » (البقرة : ٢٥٥)

وبهذا القول المعجز ، طهر الاسلام والمسلمون من أى شبهة للكهانة والكهنوت ، وأصبح المسجد بيت الله خالصا للعبادة وليس للدجل .

وأحب أن أسرد هذه الواقعة لأبين قيمة المسجد فى حياة المسلم :

فى أواخر الأربعينيات ، عقد الملك فاروق — ملك مصر الراحل — العزم على طلاق زوجته الملكة السابقة « فريدة » واستدعى أحد رجال القصر فى ذلك الوقت المرحوم فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم من كبار علماء الدين فى مصر ، وطلب منه أن يصدر فتوى أنه لا يحل للملكة « فريدة » أن تتزوج بعد أن يتم طلاقها من الملك ، فلما أبدى الشيخ عبد المجيد سليم دهشته من هذا الطلب واستنكره ذكره رجل القصر بأن أمهات المؤمنين زوجات النبى عليه الصلاة والسلام كان محرما عليهن الزواج من بعده ، مشيرا الى قول الله سبحانه وتعالى :

« ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما » (الأحزاب : ٥٣)

ولم يطق فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أن يسمع أكثر من هذا ، فقال محتدا : هذا مقام وهذا مقام . فقال له رجل القصر متوعدا : ان رفضك لطلب مولانا سوف يعرضك للأذى . فقال الشيخ العظيم : هل هذا الأذى سوف يحول بينى وبين أن أذهب من بيتى الى المسجد ؟ فقال رجل القصر : لا .. لن يصل الى هذا المدى ، انما هو يتعلق بمد مدة خدمتك بعد انتهائها .

وعند هذا الحد نهض الشيخ الجليل وقال : طالما سوف أستطيع أن أذهب الى المسجد فأنا لن يلحقنى أى أذى ، وبلغ مولانا أن الشيخ عبد المجيد لن يفترى على الله كذبا ولن يحل حراما أو يحرم حلالا .

أسوق هذه الواقعة لكى نذكر دائما قول الامام الشيخ عبد المجيد سليم : « طالما سوف أستطيع أن أذهب الى المسجد فلن يلحقنى أى أذى » .

أود بعد ذلك أن أقول لكل من يتحدث عن مذهب « فرويد » ، وعن تحكم الجنس فى السلوك ، وعن عقدة « أوديب » وحقد الابن على أبيه ، وعن العقد النفسية ، وعن جدوى العلاج النفسى ، أقول لهم : اننا نحن المسلمين نجد شفاء نفوسنا فى القرآن ، وسكينة قلوبنا واطمئنان فؤادنا فى الوقوف بين يدى الله نصلى : نركع ونسجد ، وندعو ونتضرع ونكبر ونسبح ، وأقول انه على مدى عمرى كله لم أجد مسلما واحدا يؤدى الصلاة بخشوع ورهبة يعانى من أى مرض نفسى أو هواجس أو قلق ، أو أفكار متسلطة •

رابعا ــ يقول لقمان لابنه : **« وأمر بالمعروف وانه عن المنكر »** • الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى رسالة المسلم ومسئوليته طول حياته ، وليس هذا بالأمر الهين بل هو جهاد وكفاح ، فليس أكره على الجماعة الضالة من أن يرتفع صوت فى مواجهتها يقول كلمة الحق لا يخشى الا الله ، والمسلم اذ يواجه الظالم ويتصدى للباطل ويحارب الطاغوت يعلم أنها قد تكون الشهادة ، وقد تكون العذاب والسجن والتشريد ، ولكن لا بأس فهذا قدر المؤمنين ، وقد ارتفع صوت نبى الله يحيى عليه السلام ، حين رأى ملكا يعاشر ابنة أخيه قائلا : الفاجرة لا تحل لك • فكان جزاؤه أن ألقوا به فى السجن ثم قطعوا رأسه ووضعوها على « صينية » لتقدم الى زانية •

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يجعلان للمسلم رسالة فى الحياة وقيمة ، وهذا كله نماء فى شخصية المسلم ، ذلك لأنه جهاد فى سبيل الله وقد يكون بكلمة صدق لا رياء فيها ، وقد تكون بضربة سيف تقطع يد تمتد بأذى لدين الله وللمسلمين • وليس بعد هذا كله أعظم من ذلك احساسا بالعزة وراحة للضمير •

خامسا ــ بعد ذلك يأمر لقمان ابنه أن يصبر على ما أصابه ، والصبر هو حبس نفسه على ألم مصيبة ، وهو صفة من صفات المؤمنين ويتطلب مجاهدة النفس ، وفى سورة ابراهيم نقرأ قول الله سبحانه وتعالى :
« سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » (ابراهيم : ٢١)

والجزع هو ضعف النفس عن احتمال ماينزل بها من مكروه . وعلى هذا فان الصبر هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ؛ وحبس النفس — أى ضبطها — معنى عام ينتظم الكثير من الفضائل . وتختلف أسماؤها باختلاف موقعه فمن ذلك :

(أ) حبس النفس على ألم مصيبة . وفى هذا قوله سبحانه وتعالى :

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين • الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » (البقرة : ١٥٥ . ١٥٦)

(ب) حبس النفس على مكاره الحرب وهو الشجاعة . وفى هذا قوله سبحانه وتعالى :

« ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » (الأنفال : ٦٥) •

(جـ) الانتظار من حبس النفس . وفى ذلك قوله سبحانه وتعالى :
« واصبر حتى يحكم الله » (يونس : ١٠٩)

وقد سمى القرآن كل أنواع الحبس صبرا . وتنبه على ذلك الآية :

« والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » (البقرة : ١٧٧)

الصبر هو قوة الايمان وصلابته . وذهاب الصبر هو ضياع النفس ، وذلك بقوله سبحانه وتعالى :

« والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (سورة العصر)

ذلك أن الجندى المسلم يصبر حين الزحف فلا تجزع نفسه ولا يصيبه الهلع ، لأنه يؤمن أنه يقاتل فى سبيل الله وليس من أجل متاع الدنيا ، وأن الذين يقتلون فى سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون • وبهذا ينتصر المسلم وترتفع راية الاسلام •

والصبر على ما يحل بالمسلم من مصائب وكوارث هو تسليم الأمر لله ، والامتثال لقضائه والأمل فى رحمته ؛ وهذا كله هو الحصن الحصين الذى يحمى النفس من اليأس ومن السـخط ، ومن ثورات الغضب والهياج ، مما قد يدفع النفس الضعيفة الى الانتحار أو الاندفاع فى الاثم والشر والانتقام ، وهـذا هو الخسران المبين ؛ وقد وصف الله هـذا كله فى سورة الحج بقوله سبحانه وتعالى :

« ومن الناس من يعبـد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » (الحج : ١١)

القرآن شفاء النفوس ؛ فالمسلم حين تحل به الكوارث يهرع الى المصحف يتلو الآيات فتتنزل فى نفسه السكينة ، وفى سورة يوسف يذكر قول يعقوب عليه السلام حين أتى له أبناؤه بدم كذب على قميص ابنه الحبيب يوسف :

« فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » •

(يوسف : ١٨)

سادسا ـ وبعد ذلك يضع لقمان لابنه أسسا سلوكية :

« ولا تصـعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور • واقصد فى مشـيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » (لقمان : ١٨ ، ١٩)

وقول لقمان لابنه هو دستور لكل أب يريد أن ينشأ ابنه على الخلق الاسلامى القويم ، وهو اذ يقومه فى مستهل حياته يحميه من أن يحل فى شخصيته الاختيال والفخر ، وهما من أخبث ما يمكن أن يصيب النفس ، فان المؤمن يعلم أنه عبد لله وأن أكرم الخلق عند الله هو أتقاهم وليس أكثرهم مالا ولا أعظمهم نسبا وحسبا ، وعلى هذا فان على المسلم أن يمشى على الأرض هونا ، وأن يخفض من صوته ، وبهذا لا تتولد الأحقاد فى النفوس وتسود الألفة فى المجتمع الاسلامى الذى

ليس فيه مجال أن تتعالى فئة على فئة ، فهذا من أخلاق الجاهلية التى تورث الفتنة والشر والأحقاد .

وفى النهاية ، نفهم أن القيمة الحقيقية لبناء شخصية المسلم تتركز على ما يفهمه من آيات القرآن الكريم الذى هو شفاء للنفوس . وأن الصلة بالمصحف الشريف يجب أن تبدأ من الطفولة ، واذ ينمو الجسم ينمو الايمان حتى اذا جاوز المراهقة كانت قرة عينه فى الصلاة ، وكان المصحف سكينة قلبه وشفاء نفسه ودستور حياته ، فالقرآن هو كتاب الشريعة والعقيدة والأخلاق ، أنزله الله على خاتم الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، وقد أمرنا الله أن نطيع الهدى القرآنى والسنة النبوية ، وبذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء : ٥٩)

وبنص هذه الآية ، كل ما يختلف فيه المسلمون من أمور حياتهم فالحكم فيه لله وللرسول ، والقرآن الكريم هو القول الفصل . وهو دستور الحياة ، والمنهج الايمانى . فليس هناك مجال للحيرة والتخبط والقلق فى حياة المسلم ، فان الله كاف عبده ، يهديه الصراط المستقيم ، خلقه فهو يهديه وهو يطعمه ويسقيه واذا مرض فهو يشفيه ، والمرض قد يكون علة بجسده أو اضطرابا فى نفسه ، ولن يعيد الى نفسه السكينة ويربط على قلبه الا آيات المصحف الشريف ، لأنها المنهج الايمانى تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .



الفصل السادس

الطبيب المسلم

مهنة الطب هى مهنة سامية : لأنها تتصل بانقاذ الحياة واستعادة الصحة وإيقاف الألم وحفظ النفس من الضياع ، هذا يذكره قول الله سبحانه وتعالى :

« من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون » (المائدة : ٣٢)

وليس هناك شعور بسعادة جارفة كالتى تغمر طبيب يحس أنه قام بانقاذ حياة مريض وأدى بذلك واجبه كما يرضى وكما يمليه عليه ضميره، ومهنة الطب هى مسئولية جسيمة ليس أهلا لها وأجدر بتحملها من الطبيب المسلم القوى الايمان المتمسك بأداء الفرائض ، والملتزم بنهج الله . لأنه بهذا يصبح كل ما استوعبه من علم وتدرب عليه من مهارة مسخرا فى القيام بما يمليه عليه الضمير ، وبما يؤمن فى أعماق نفسه أنه يرضى به الله .

ومهنة الطب تتعرض لكل ما تتعرض له أخلاق المجتمع من انحراف ، ففى الولايات المتحدة نشر فى مجلة « ريدرز دايجست » فى العدد الصادر فى فبراير ١٩٨٢ :

« انه يمارس مهنة الطب فى أمريكا ٤٥٤٫٠٠٠ طبيب ، وأنه من بين هؤلاء يوجد من ٢٠٫٠٠٠ الى ٥٠٫٠٠٠ طبيب يجب ألا يسمح لهم بمزاولة المهنة ، وذلك بسبب ادمانهم على الخمر أو المخدرات ،

أو لاصابتهم بانحرافات جنسية ؛ أو لاختـلال فى تفكيرهم وقواهم العقليـة » .

وقد أثار هذا التقرير قلقا بالغا ولاسيما أنه تبين أنه عمليا من الصعب ــ ويكاد أن يكون من المستحيل ــ اكتشاف هذه النوعية الخطرة من الأطباء فى الوقت المناسب ، وبالتالى اتخاذ الاجـراءات اللازمة لمنعهم من ممارسة المهنة ، ومن أعقد المشاكل فى هذا الصدد أنه داخل مجتمع المستشفيات يوجد تكتم شديد وحرص بالغ على اخفاء ما يحدث داخل جدران المستشفيات من انحرافات أو جرائم . وقد ذكر التقرير المشار اليه الأمثلة التالية :

● فى أحـد مستشفيات كاليفورنيا : أبلغت ممرضة أنها شاهدت طبيبا يعتدى جنسيا على احدى المريضات وهى فى حالة غيبوبة ؛ وقد طلبت ادارة المستشفى من الممرضة عدم ذكر أى شيىء عن هذا الأمر ولم يتم اتخاذ أى اجراء ضد الطبيب ، وظل يمارس مهنة الطب وكأنه لم يحدث أى شيىء .

● فى أحد مستشفيات نيويورك : أدمن طبيبان على تعاطى المخدرات حتى أنهما كانا يتصرفان داخل المستشفى وهما مسلوبى الارادة . وعند اجراء العمليات الجراحية كان واضحا للجميع ارتعاش أيديهما وعدم تمكنهما من أداء واجبهما ، ولكن أحدا لم يحاول أن يبلغ مجلس ادارة المستشفى عن مدى الخطورة التى يتعرض لها المرضى الذين يوقعهم سوء حظهم فيتولى علاجهم واجراء الجراحات لهم مدمن مخدرات .

● فى مدينة بوسطن فى مستشفى بريجهـام للولادة وأمراض النساء ، وهى احدى مستشفيات جامعة « هارفارد » اغتصب طبيب تخدير احدى المرضات داخل المستشفى ؛ وقد أبلغت الممرضة الشرطة وقبض عليه ثم تم الافراج عنه بكفالة تمهيدا لتقديمه للمحاكمة ؛ وبعد ذلك حصل هذا الطبيب على ثلاثة خطابات توصية من أقدم الأساتذة بالمستشفى المذكورة وفى كل خطاب كان هناك ثناء مستطابا على أخلاقه ،

واستطاع بذلك أن يحصل على وظيفة مرموقة فى أحد مستشفيات نيويورك •

نستخلص مما سبق الأمور التالية :

١ ــ ادمان الخمر والمخدرات أو كليهما ، يشكل خطرا على كل من الطبيب وعلى المريض ، وهو سبب قاطع لمنع أى طبيب من مزاولة المهنة لأنه بحكم عمله من اليسير عليه أن يحصل بانتظام على ما يريد من حقن المورفين ، وقد حدثت أكثر من حالة أدمن فيها أطباء تعاطى المورفين وحدثت مشاكل من جراء ذلك وملابسات غاية فى الخطورة •

٢ ــ الانحرافات الجنسية اذا أصابت طبيبا قضت على مستقبله وحياته الطبية قضاء مبرما ، ذلك لأن الطبيب هو الشخص الوحيد الذى يحل له أن يطلع على العورات ، فهو بهذا مؤتمن على الأعراض ، فان كان منحرفا أصبحت مزاولته لمهنة الطب وسيلة للاعتداء على الأعراض، ومن ثم يجب اقصاؤه عن المهنة الطبية •

٣ ــ تقاليد المهنة الطبية أو مجاملات الأطباء لا يمكن أن يحولا دون أداء الشهادة بصدق وأمانة ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« والذين هم بشهاداتهم قائمون » (المعارج : ٣٣)

وعلى هذا فانه ليس من الدين أن يتستر طبيب على زميل له ارتكب اثما أو فسدت أخلاقه أو انعدم ضميره ، فان مثل هذا الطبيب يمثل خطرا على المجتمع وهو عضو فاسد يجب بتره ، وأى تراخى فى هذا هو اثم كبير •

يبقى بعد ذلك أمر غاية الأهمية وقد أفرد له أحد كبار الجراحين الأمريكان كتابا فريدا فى نوعه ، وهذا الجراح هو جون كريل ، وقد ألف كتابه بعد أن تقاعد واعتزل المهنة وقد سجل فيه خبرته على مدى أكثر من أربعين عاما ، وهو يعمل فى أكبر مستشفيات نيويورك ، وقد سرد فيه سلسلة من الفضائح والمخازى وكلها أمثلة لفساد الذمة ، فقد عـــدد

أنواعا من الجراحات تجرى من أجل ابتزاز أموال المرضى ، ومنها جراحات استئصال اللوز والزائدة الدودية وأكياس الثدى والأورام الليفية من الرحم ، وفى معظم هذه الأحيان يدخل الجراح فى روع المريض أنه يعانى من مرض خطير وأنه لابد من الجراحة لانقاذ حياته ، وينقاد المريض تحت تأثير الخوف من حدوث المضاعفات ، والأورام السرطانية فيقبل اجراء جراحة هى فى الواقع لامبرر لها ، وقد يحدث من هذه الجراحة مضاعفات تودى بحياته ، والأمثلة كثيرة ومتعددة ، وتحدث فى كل بلد ومن كل صنف من الأطباء ، ولا سبيل لدرء هذا الوباء الا أن يكون الطبيب متوخيا أن يكون رزقه حلالا ، وأن يحرص دائما على الأمانة فى أداء المهنة والصدق فى كل ما يقوله لمريضه •

واذا أردنا أن نجمل الصفات التى يجب أن يكون عليهـا الطبيب فنحن نقول انه هو :

١ ــ الذى لا يحتسى الخمر •

٢ ــ الذى لا يتعاطى المخـدرات •

٣ ــ الذى يصون الأعراض فيغض بصره ويحفظ فرجه •

٤ ــ الذى يشهد بالصدق فى كل ما يطلب منه أن يشهد به •

٥ ــ الذى لا يكسب الا مالا حلالا ، والذى يخشى الله فيقول لمريضه الكلمة الصادقة والنصيحة الخالصة •

وبعد هذا كله ، نقول : ان كل هذه الصفات أروع ما تكون فهى فى الطبيب المسلم ، لأنه بهذا يكون قد أطاع الله سبحانه وتعالى ، وله أيضا من أعماق ايمانه بنهج الله صفات زائدة مكملة وهى :

١ ــ الطبيب المسلم لن ينصح مريضا الا بما يرضى الله ، وعلى هذا فلن يسمح لمريضه أن يتناول خمرا كوسيلة للعلاج •

٢ ــ الطبيب المسلم لن يأمر مريضه بمعصية ، فاذا كان يعالج مراهقا مضطرب النفس فسوف يوصيه بالعفة وليس بالزنا •

٣ ــ الطبيب المسلم يتفانى فى العلاج والسهر على المرضى ويبذل من صحته أقصى ما يستطيع ، لأنه يؤمن بقول الله سبحانه وتعالى : **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورســوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »** (التوبة : ١٠٥)

٤ ــ الجراح المسلم حين يقوم باجراء جراحة ، يعلم أن الله يرى ويسمع ، وأنه ان كان مريضه لا يدرى ما يفعل به من تأثير المخدر فان الله سبحانه وتعالى مطلع عليه ، فهو فى كل ما يعمل يخشى الله ويستعين به ، فلا يجرى مبضعه الا بما يحقق الشفاء لمريضه ، ويبذل له كل جهده ويعطيه كل علمه ، ويمارس أقصى مهارته ، وهو بعد ذلك يواجــه مريضه فيتحمل مسئوليته كاملة ويرعاه ويقف بجواره ويهب لنجدته اذا حدثت أزمة أو تعرض لخطر ، وفى كل هذه المراحل هو صادق مع نفسه ، صادق مع مريضه ، صادق مع زملائه الأطباء : اذا تحدث قال صدقا ، واذا أشار برأى فهو ما لا يخجل أن يقف به بين يدى الله يوم الحساب ، ذلك لأنه فى كل ما يفعل لا يبغى الا وجه الله .



الفصل السابع

المريض المسلم

المسلم حين يمرض ، يدرك تماما أنه لن يشفيه الا الله سبحانه وتعالى ، فهو الشافى والمعافى ، ويتلوا قول الله سبحانه وتعالى :

« واذا مرضت فهو يشفين » (الشعراء : ٨٠)

والمرض يراه المسلم ابتلاء من الله ، وتتنزل السكينة فى نفسه حين يذكر قول الله تعالى :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » (التوبة : ٥١)

ويصبح بذلك المرض هو قمة الايمان وتسليم الأمر لله والصبر على المحنة والألم ، وعلى المريض أن يغتنم من المرض لحظات صفاء النفس وصدقها ، فيتأمل كل ما مضى من عمره وما مر به من أحداث وما قدمت يداه ، وليسأل نفسه ويراجع ضميره عن كل ما امتدت اليه يده من مال : هل كان كله حلالا ؟ هل أكل الحقوق أو تعامل بالربا ؟ هل غش فى تجارة أو معاملة ؟ هل أكل مال يتيم أو اغتصب حق ضعيف ؟ •

لعل المريض حين يراجع نفسه ، يجد الحقيقة واضحة ولم يكن ليراها لولا أنه حل به المرض وانقطع عن الحياة التى ألف أن يزاولها ، والمريض دائما متلهف على الشفاء ، وهو يدعو الله ليل نهار أن يأذن بشفائه ، وعليه أن يعلم أنه لن يكون مستجاب الدعاء الا اذا كان ماله حلالا ، فان كان قد اغتصب حقا أو أكل مالا بالباطل أو تعامل بالربا فيطهر نفسه وماله من المال الحرام فلن يصح له بدن أو يهدأ جسمه من الألم وهو يأكل من المال الحرام •

واذا ابتلى أب بمرض ابن أو ابنة ، واشتد الكرب واستحكمت الأزمة فلينظر الى المـال الذى ينفقه على أولاده ، فان كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ، ولعل كل من يريد أن يحفظ الله له ذريته من المرض ومن الأذى أن يعاهد الله ألا ينفق عليهم الا من المـال الحلال حتى ولو كان قليلا ، ولا يخشى أبدا الفقر فالمؤمن لا يخشى الفقر بقول الله سبحانه وتعالى :

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » (البقرة : ٢٦٨)

الأمر الثانى : الذى يجب أن يحاسب المريض نفسه عليه ، هو الظلم والبغى فالانسان حين تأخذه العزة بالاثم فيسعى فى الأرض فسادا فان الله قادر عليـه ولكن يمهله ولن يهمله ، وقد يكون أول ما ينزل به من عقاب الله هو أن يصاب فى صحته أو يصاب أولاده فى صحتهم ٠

وقد رأيت فى حياتى أمثلة عديدة كان الظلم هو الخطيئة التى سبقت المرض وأذكر منها :

● فى أول يوم تولى وزير شئون وزارته أحال عددا كبيرا من المديرين وكبار الموظفين الى المعاش ، وظل فى مكتبه حتى منتصف الليل وهو يتمادى فى الظلم والبطش ، وحين عاد الى منزله فوجىء أن طفله الذى تركه فى الصباح معافى يعانى من ارتفاع فى الحرارة ، وما لبث أن تبين أنه مصاب بشلل الأطفال وقد أصيب بعجز تام فى ساقيه ، وكانت صدمة مذهلة له وأيقن أنه يلقى جزاء ما حدثته به نفسه من ظلم وبغى ، فهرع الى مكتبه عند الفجر وأمر باحضار كافة ملفات الموظفين الذين أخرجهم من الخدمة وظل يراجعها ويراجع نفسه ٠

● وأذكر أيضا قصة سيدة كانت متزوجة من تاجر ، وفى يوم حضر الى منزله وأخذ من مكتبه مبلغا كبيرا من المـال ، وأخبرها أن ابن عمه يمر بضائقه مالية وأنه طلب منه أن يقرضه هذا المـال ، وبعد بضعة أيام توفى التاجر فجأة ولمـا طلبت أرملته من ابن عمه أن يسدد المبلغ الذى أخذه من زوجهـا نفى نفيا قاطعا أنه اقترض منـه أى شىء ،

ولما لم يكن لديها أى مستند يثبت مديونيته فقد رفعت عليه دعوى قضائية طلبت فيها أن يحلف اليمين الحاسمة أمام القاضى بأنه لم يقترض أى شىء من زوجها وأنه ليس فى ذمته أى التزام ازاء الأرملة والأيتام ، ولم يتردد ابن العم أن يحضر الى المحكمة ويضع يده على المصحف الشريف ويقسم بالله العظيم بأنه لم يقترض أى شىء من التاجر المتوفى ، وقد حدث هذا فى مواجهة الأرملة ، وخرج ابن العم من المحكمة الا أنه لم يكد يخطو خطوة خارجها الا وسقط صريع أزمة مفاجئة انعقد بها لسانه فلم يستطع بعد هذه اللحظة أن يقول كلمة واحدة حتى مات وحدث له شلل نصفى فى النصف الأيمن من جسمه .

● وأذكر أيضا أنه فى عام ١٩٥٢ كنت أحد أطباء البعثة الطبية المصرية الموفدة مع الحجاج المصريين ، وكان الحج فى ذلك العام فى شهر أغسطس وبلغت درجة الحرارة يوم وقفة عرفات ٥٥ درجة فى الظل وأكثر من ٧٠ درجة فى الشمس ، وبلغت حالات ضربة الشمس أكثر من ألف حالة فى أول يوم عيد الأضحى ، وأذكر أيضا أن فضيلة الشيخ حسنين مخلوف كان أحد المصابين وقد أمكن والحمد لله انقاذه ، وظل الأطباء يعملون من الصباح الباكر حتى منتصف الليل عملا متواصلا واستقبل مقر البعثة الطبية المصرية حجاجا من جميع الجنسيات ولم يتقاعس أحد عن بذل أقصى الجهد لانقاذ حياة ضيوف الله الا طبيبا واحدا رفض أن يغادر خيمته وخشى على حياته ولم يساهم بأى شىء وآثر السلامة ، وحين عدنا الى القاهرة بعد ذلك لم يمض سوى شهور قليلة حتى أصيب هذا الطبيب بمرض نادر يصيب المخ فيحدث تليفا منتشرا بالخلايا العصبية ينتج عنه تغيرات عقلية واضطرابا فى القدرة على النطق واهتزازات بالأطراف ، وهو مرض قاتل وقد توفى به هذا الطبيب بعد سنوات من العذاب والألم .

الأمر الثالث : الذى يجب أن يحاسب المريض نفسه عليه ، هو هل ارتكب معصية هى السبب فيما أصابه من مرض كأن يكون قد أدمن الخمر أو المخدرات أو التدخين أو تناول لحم الخنزير أو اقتنى الكلاب

أو مارس الزنا أو اللواط ، ومما لا شك فيه أن الذى يمرض ويعانى من الألم وضياع الصحة سوف يكون صادقا مع نفسه لأن طريق الشفاء قد يكون هو طريق التوبة •

ويبقى بعد ذلك أن نتدبر الأسس العلاجية التى يجدر بالمريض المسلم اتباعها حتى يأذن الله بشفائه :

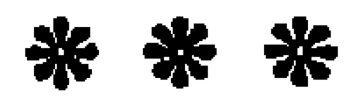
أولا : يجب أن يدرك المريض أن سكينة النفس هى ألزم ما يكون لشفاء الجسد ، وليس من سبيل الى السكينة الا بالصبر والاستغفار والدعاء والأمل فى عفو الرحمن والاستماع الى تلاوة القرآن •

ثانيا : أن يذكر الهدى النبوى الشريف ، بأن مداواة المريض تكـون بالصدقة ، فان رحمة الله قريبة من المحسنين •

ثالثا : أن للمريض أن يسلك كل طريق للشفاء ، وأن يستعين بكل وسيلة تذهب عنه المرض الا أن يكون فى ذلك معصية ، مثل أن يتداوى مريض بتناول الخمر أو شرب الدم المسفوح أو أكل لحم الخنزير •

رابعا : أن على المريض المسلم أن يكون طبيبه مسلما كلما كان ذلك متاحا ، لأنه لن يكون أكثر صدقا واخلاصا للمسلم من أخيه المسلم •

والله الموفق •• وهو المستعان ••



محتويات الكتاب

رقم الايداع ٤٧٧٨/٨٢
الترقيم الدولى ٢ ــ ٠٠٤ ــ ٣٠٧ ــ ٩٧٧

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلى
الأزهر: ٣٠ حيضان الموصلي
بجوار جامع الدعاء

المؤلف فى سطور

- من مواليد ـــ القاهرة ـــ يناير سنة ١٩٢٨م
- أول الدفعة ببكالوريوس ـ كلية الطب ـــ جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٥٠
- نال ماجستير الجراحة العامة فى مايو سنة ١٩٥٦م
- عين معيدا بكلية الطب ـــ جامعة القاهرة سنة ١٩٥٧
- عين مدرسا للجراحة العامة ـــ كلية طب ـــ جامعة عين شمس سنة١٩٥٩
- أوفد الى لندن فى مهمة علمية للتخصص فى جراحة الغدد الصماء سنة١٩٦١
- عين أستاذا مساعدا سنة ١٩٦٥ ٠٠ثم أستاذا للجراحة العامة سنة١٩٧٢
- يرأس أحد أقسام الجراحة العامة ـــ بكلية طب عين شمس ٠٠ ويرأس أيضا ـــ قسم جراحة الغدد الصماء بمستشفى جامعة عين شمس
- له أبحاث فى الجراحة العامة نشرت بالمجلات العلمية باللغات الأجنبية بالدول الأوروبية ٠

